

موسوعة الإمامة في الفكر الشيعي

(٩)

الولاية التكوينية

حقيقتها ومظاهرها

محاضرات المرجع الديني

السيد كمال الحيدري رحمته الله

بقلم

الشيخ علي حمود العبادي

سرشناسه	: حیدری، سیدکمال، ۱۳۳۸ -
عنوان و نام پدیدآور	: موسوعه الامامه فی الفكر الشيعی / من ابحاث کمال الحیدری؛ بقلم علی حمود العبادی.
مشخصات نشر	: قم: دار الفراقده، ۱۳۹۵.
مشخصات ظاهری	: ۱۲ ج.
شابک	: ۹۷-۰-۷۷۹۹-۶۰۰-۹۷۸ دوره
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: عربی.
موضوع	: محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق.
موضوع	: Muhammad, Prophet, d. ۶۳۲
موضوع	: محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- تعالیم
موضوع	: Muhammad, Prophet -- Teachings
موضوع	: محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- دیدگاه‌های سیاسی واجتماعی
موضوع	: Muhammad, Prophet -- Political and social views
موضوع	: سنت نبوی
موضوع	: Wonts of the Prophet*
شناسه افزوده	: العبادی، علی حمود، ۱۳۱۸ -
رده بندی کنگره	: BP۲۲/۹/۴۹ت ۱۳۹۵
رده بندی دیویی	: ۹۳/۲۹۷
شماره کتابشناسی ملی	: ۴۲۲۹۶۷۷



موسوعة الإمامة في الفكر الشيعي (۹) الولاية التكوينية

تقریراً لأبحاث:	السید کمال الحیدری
بقلم:	الشیخ علی حمود العبادی
عدد النسخ:	۵۰۰
الناشر:	دار فراقده - قم، ایران
الطبعة الأولى	۱۴۴۱هـ - ۲۰۱۹م
المطبعة:	زالال کوثر
ISBN:	۹۷۸-۶۲۲-۹۶۰۶۷-۳-۵
ISBN الدورة:	۹۷۸-۶۰۰-۷۷۹۹-۹۷-۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

يعدّ هذا البحث جزءاً من مجموعة أبحاث في الإمامة القرآنية - عرضنا فيها حقيقة الولاية التكوينية ومظاهرها - أقيمت كدروس على ثلثة من الفضلاء في حوزة قم المقدسة، وقد حاول تلميذنا العلامة الحجة الشيخ علي حمود العبادي - دامت توفيقاته - أن يخرجها بصيغة كتاب بعد تدوينها وإبداء الملاحظات الفنية والتوضيحية عليها؛ مما كان له الأثر المفيد في صياغتها بهذه الصورة .

وبعد ملاحظة ما قرره وجدت أنها تستوعب جميع التفاصيل التي عرضت لها بدقة وعمق وحسن بيان؛ ومن ثمّ فهي تعبّر عن جهد فكريّ وعلميّ جليل للكاتب الفاضل بذله من أجل توضيح هذه الأفكار .
وإني إذ أشكر له هذا الجهد المبارك أدعو الله العليّ القدير أن يجعله علماً من أعلام هذه الأمة راجياً أن يواصل الشوط الذي افتتحه بهذه الدراسة، لاسيّما مع ما تعيشه الأمة من تساؤلات مختلفة في هذا المجال، آملاً أن تستجيب لبعض تلك المتطلبات الفكرية والعقائدية .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كمال الحيدري

٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ

المقدمة

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور وأنقذنا من الجاهلية بالإسلام، والصلاة والسلام على خير خلقه خاتم رسله، البشير النذير والسراج المنير، سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، عصمة المعتصمين ومنار المهتدين، والسلام على صفوة أصحابه الصالحين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: ما زالت بعض مقامات أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم يتتابها الغموض والضبابية، رغم تركيز القرآن الكريم والسنة النبوية على بيان حقيقة أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم بصورة واضحة.

فقد تحدّث القرآن الكريم في مواضع متعدّدة عن مكانة وعظمة أهل البيت عليهم السلام وسموّ مقاماتهم، وإليك بعض هذه النصوص القرآنية:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، حيث تحدّث الآية المباركة عن مبدأ الاصطفاء للآل والأهل، الذي يشكّل أهل البيت عليهم السلام مصداقه البارز، وهو ما نلمسه واضحاً في عدد وافر من الروايات الشريفة التي تفسّر آل إبراهيم بآل محمد صلّى الله عليهم أجمعين، باعتبار أن الرسول صلّى الله عليه وآله وأهل بيته ينتمون إلى نبيّ الله إسماعيل عليه السلام،

(١) آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

ومن ثم فهم عليهم السلام ينتمون إلى النبي إبراهيم عليه وعلى نبيآ وآله السلام.

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال: «هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد؛ يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾»^(١) وهم المؤمنون، أي: المراد بآل عمران المصطفون المؤمنون منهم، وكذلك المؤمنون من آل إبراهيم، والمؤمنون من آل ياسين، والمؤمنون من آل محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، فهو من العام الذي أريد به الخاص»^(٢).

وعن جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ قال: «... فأنا بقيّة من آدم وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد عليهم السلام...»^(٣).

وفي تفسير العياشي عن الباقر عليه السلام أنه قيل له: ما الحجّة في كتاب الله أنّ آل محمد هم أهل بيته عليهم السلام؟ قال: «قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ولا يكون الذرية من القوم إلّا نسلهم من أصلابهم. والله سميع بأقوال الناس عليهم بأعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل»^(٤).

(١) آل عمران: ٦٨.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ج ٣ ص ١٢٦٣، كتاب الأنبياء.

(٣) الغيبة، الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق: ص ٢٨٨ -

٢٩١.

(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران: ص ١٦٩.

وفي العيون، في حديث الفرق بين العترة والأمة: «قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: هل فضل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: «إن الله تعالى أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه. فقال له المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ فقال الرضا عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١) ونحوها من الروايات.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢)، وهذه الآية المباركة تشير إلى طهارة وعصمة أهل البيت عليهم السلام، وهو بحث واسع لا يناسب دور المقدمة.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣).

فقد أخرج مسلم وأحمد والترمذي وابن حجر وابن الأثير وغيرهم بسندهم إلى سعد بن أبي وقاص قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي»^(٤).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، محمد بن الحسين، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت: ج ٢ ص ١٧-١٨.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) آل عمران: ٥٩-٦١.

(٤) انظر صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ط ١، دار الفكر، بيروت: ج ٤ ص ١٨٧٠؛ سنن =

وقد سجّلت المباهلة منقبة عظمى لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام البررة، والذين اجتباهم الله تعالى لتلك المنازل العظيمة هم علي وفاطمة والحسن والحسين ولا أحد سواهم.

قال القرطبي في كلمة (أبناءنا): «دليل على أنّ أبناء البنات يسمّون أبناء؛ وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله جاء بالحسن والحسين، وفاطمة تسير خلفهما، وعليّ خلفهما، وهو يقول لهم: إن دعوت فأمنوا...»^(١).

وقال الفخر الرازي: «هذه الآية دالة على أنّ الحسن والحسين عليها السلام كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وعد أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه»^(٢).

٤ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٣).

وقد أكّدت أغلب كتب التفسير، وكثير من مصادر الحديث والسيرة والتاريخ نزولها في قريبي النبي صلى الله عليه وآله، وهم: عليّ والزهراء والحسن والحسين وذريتهم الطاهرون عليهم السلام.

فقد أخرج الطبراني وغيره في تفسير هذه الآية بالإسناد إلى ابن عباس،

= الترمذي، محمد بن عيسى: ج ٥، ص ٦٢٥؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ١٨٥؛ مستدرک الحاكم وصححه على شرطين: ج ٣، ص ١٣٦. وعلّق الذهبي بقوله: على شرط البخاري ومسلم، المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٣٦؛ أسد الغابة لابن الأثير: ج ٤، ص ١١٤؛ الإصابة لابن حجر: ج ٤، ص ٤٦٨؛ تفسير القرطبي محمد بن أحمد: ج ٤، ص ١٠٤؛ تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٤٦؛ روح المعاني، محمود الألوسي: ج ٣، ص ١٨٨.

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج ٤، ص ١٠٤.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج ٨، ص ٨٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وولدهما»^(١).

وأخرج ابن حنبل في الفضائل: «عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قالوا: يا رسول الله، من قرابتنا هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام»^(٢).

وأخرج الطبراني بسنده عن ابن الطفيل: «أن الحسن كرم الله وجهه قال في خطبته: «أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال لنبينا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ واقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت»^(٣).

وروى الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد، وعلق عليه قائلاً: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار.. وأبو يعلى باختصار والبخاري وأحمد ونحوه... وأسناد أحمد وبعض طرق البخاري والطبراني في الكبير حسان»^(٤).
وأورده ابن حجر الهيتمي في الصواعق، وقال: «وأخرج البخاري والطبراني عن الحسن رضي الله عنه من طرق بعضها حسن»^(٥).

(١) المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل: ج ٣، ص ٤٧.

(٢) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ج ٢، ص ٦٦٩.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد، دار الحرمين، القاهرة: ج ٢، ص ٣٣٧.

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، نور الدين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة عام ١٤٠٨: ج ٩، ص ١٤٦.

(٥) الصواعق المحرقة، الهيثمي، ابن حجر، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ: ص ٢٥٩.

وأخرج مسلم في صحيحه عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، فقال سعيد بن جبير: قربي آل محمد عليه السلام...»^(١).

واستدل الزمخشري على أن آية المودة نازلة في أهل البيت عليهم السلام وذكر الحديث بقوله: «وروي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما». ثم قال: «ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أياننا وشمائنا، وذريتنا خلف أزواجنا. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي وَأَذَانِي فِي عَتْرَتِي...»^(٢).

واستدل الفخر الرازي كذلك على نزول الآية بأهل البيت عليهم السلام بثلاثة وجوه، حيث قال: «ثبت أن هؤلاء الأربعة [وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام] أقارب النبي صلى الله عليه وآله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم، ويدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

الثاني: لا شك أن النبي صلى الله عليه وآله يحب فاطمة عليها السلام، قال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني، يؤذيها ما يؤذيها، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

(١) صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٨١٩.

(٢) الكشف، الزمخشري، ط ٢، منشورات البلاغة، قم: ج ١، ص ١١٥٦.

تَهْتَدُونَ ﴿١﴾، ولقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾.

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: اللهم صلّ على محمد وآل محمد. وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكل ذلك يدلّ على أنّ حبّ محمد وآل محمد واجب^(١).

وقد أشارت الآية المباركة إلى بُعد آخر يكشف عن عظمتهم عليهم السلام، وهو بُعد يشير إلى تشخيص طبيعة العلاقة التي يجب أن تقوم بين أبناء الأمة الإسلامية وأهل البيت عليهم السلام، وهي علاقة تعبّر عن طبيعة العلاقة مع الإمامة التي هي امتداد للعلاقة مع الله تعالى ورسوله. وغير ذلك من النصوص القرآنية التي لا يسع المقام لذكرها.

هذا مضافاً إلى وجود أحاديث كثيرة تشير إلى عظمة مكانة أهل البيت عليهم السلام كقوله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»، وقوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام في حديث المنزلة: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»، وقوله صلى الله عليه وآله في حديث الغدير: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» وقوله في حديث السفينة، وفي حديث النجوم، وحديث سدّ الأبواب، وباب حطّة، والوصية، والمناجاة، والمؤاخاة، والكساء، والطائر المشويّ، والاثني عشر خليفة، وما إلى ذلك من العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تطفح بها مصادر مدرسة الصحابة فضلاً عن مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج ٢٧، ص ١٦٦.

إلاّ أنّه على الرغم من هذا التأكيد الواسع من قبل القرآن والسنة الشريفة على عظمة أهل البيت عليهم السلام، نجد أنّ هنالك الكثير من مقاماتهم وفضائلهم التي يكتنفها الإبهام والغموض.

ومن أهمّ العوامل التي ساهمت في طمس وتغييب مقامات أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم: ما تعرّضوا إليه من حملات الظلم والتعذيب التي مورست ضدهم، التي لم تقتصر على الجانب المادّي والتعذيب الجسدي والقتل والتشريد ونحوها من الممارسات، بل امتدّ ذلك الظلم لقتلهم معنوياً من خلال التعتيم الإعلامي لشخصيتهم وطمس مقاماتهم عليهم السلام، وتزييف الحقائق ووضع الأخبار التي تضللّ العقول، فقد حيكت ضدّ أهل البيت عليهم السلام المؤامرات ومورس ضدهم شتى أنواع الضغوط، من قبل أصحاب الضمائر الميتة الذين عمدوا إلى تغييب فضائلهم ومقاماتهم عليهم السلام، ووضعها لمناوئتهم وأعدائهم.

وفي هذا الصدد يقول المناوي في تعليقه على حديث «إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي»: «هذا من معجزاته الخارقة لأنّه إخبار عن غيب، وقد وقع. وما حلّ بأهل البيت بعده من البلاء أمر شهير، وفي الحقيقة البلاء والشقاء على من فعل بهم ما فعل»^(١).

على هذا الأساس ولأجل كشف هذه الحقيقة المغيّبة عن شخصية أهل البيت عليهم السلام انبرى سماحة الأستاذ العلامة السيّد كمال الحيدري حفظه الله تعالى، للدفاع عن أهل البيت عليهم السلام وبيان مقاماتهم، حيث كانت له أبحاث موسّعة ومتعدّدة حول مقامات أهل البيت عليهم السلام من قبيل

(١) فيض القدير في شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥: ج ٢ ص ٧٠١.

البحث عن حقيقة إمامة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم وحقيقة علمهم ونحوها من الأبحاث المتعلقة بهم عليهم السلام.

وهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ يمثل أحد الأبحاث التي ألقاها سماحته وخصّص للبحث عن مقام الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام، وهو - في الأصل - عبارة عن عدّة دروس ألقاها سماحته على جمع من الطلبة في حوزة قم المقدسة، وقد قمت بعونه تعالى وتوفيقه بترتيبها وإخراجها على هذا الشكل المائل بين يديك.

منهج البحث

يتلخص منهج البحث في النقاط التالية:

١. الاستناد إلى النصوص القرآنية
٢. الاستناد في البرهنة والاستدلال إلى روايات أهل البيت عليهم السلام التي تبلغ حدّ الاستفاضة أو التواتر؛ مما يغني عن الدخول في غمرة البحث السندي.
٣. الاستناد والاستشهاد بأقوال العلماء والمحققين.
٤. حرصت على الإفادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها.
٥. الاستناد والرجوع لبعض البحوث الفلسفية والكلامية في الموارد التي تحتاج تغطيتها والاستدلال والبرهنة إلى ذلك.

خطة البحث

انطلقت خطة البحث بتقسيمه إلى فصول خمسة:

الفصل الأول: تضمّن التعريف بمفهوم الولاية التكوينية في اللغة

والاصطلاح، ثم الاستدلال على إمكانية توفر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى، من دون استلزام ذلك أي محذور.

الفصل الثاني: البحث في الأدلة القرآنية والروائية الدالة على تصرف الأنبياء وغيرهم من أولياء الله تعالى بشكل خارق للعادة.

الفصل الثالث: كرس للبحث في الأدلة على ثبوت الولاية التكوينية للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

الفصل الرابع: اعتنى بالأدلة على ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام.

الفصل الخامس والأخير: فقد تناول البحث حول بيان أن ما اشتمل عليه أهل البيت عليهم السلام من الولاية التكوينية خارج عن دائرة الغلو.

إهداء

أسأله تعالى أن يتقبل مني هذه البضاعة المزجاة بأفضل القبول، متضرّعا إليه تعالى أن يرفع أجر هذا العمل إلى الأرواح الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام وأن تكون موضع رضاهم عليهم السلام.

وأخيراً لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخ عبد الرضا افتخاري الذي قام بالتقويم والمراجعة اللغوية للكتاب.

علي حمود عناد العبادي

الفصل الأول

إمكانية توفر الولاية التكوينية

لبعض المخلوقات بإذنه تعالى

تمهيد:

في التعريف بمفهوم الولاية التكوينية لغة واصطلاحاً

الولاية لغة

قال الراغب في مفرداته: «الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية النصرة، والولاية تولّي الأمر.....»^(١).

وفي لسان العرب: «الولي: وليّ اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته. ووليّ المرأة: الذي يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبدّ بعقد النكاح دونه. وفي الحديث: أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاهها فنكاحها باطل، وفي رواية: وليّها، أي متولّي أمرها... قال الفراء: المولي: ورثة الرجل وبنو عمه. قال: والوليّ والمولى واحد في كلام العرب. قال أبو منصور: ومن هذا قول سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاهها. ورواه بعضهم: بغير إذن وليّها، لأنّهما بمعنى واحد»^(٢).

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني: مادة ولي.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت: مادة ولي.

وقال الجوهري «الولي: القرب والدنو. يقال: تباعدنا بعد ولي، وكُلُّ مما يليك، أي: مما يقاربك... وأوليته الشيء فوليه، وكذلك ولي الوالي البلد، وولي الرجل البيع ولاية فيهما.. والمولى: المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار، والولي: الصهر. وكل من ولي أمر واحد فهو وليه»^(١).

وقال ابن الأثير: «الولي هو الناصر. وقيل: المتولي لأمر العالم والخلائق القائم بها. ومن أسماؤه عز وجل: الوالي، وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرف فيها. وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل. وما لم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه اسم الوالي..»^(٢).

ومن مجموع كلمات اللغويين يتضح أن لفظ الولاية يأتي على معنيين:

• فتارة يأتي بفتح الواو «ولاية» فتكون مصدراً مشتركاً بين معانٍ متعددة، من قبيل النسب والنصرة والمعتق، قال ابن الأثير: «فالولاية - بالفتح - في النسب والنصرة والمعتق»^(٣)

• وتارة أخرى تأتي الولاية - بكسر الواو «ولاية» - فتكون مصدراً وتدلّ على السلطنة والتدبير والحكومة.

قال ابن منظور: «والولاية - بالكسر - الاسم، مثل: الأمانة والنقابة؛ لأنه اسم لما تولّيته وقمت به»^(٤).

(١) صحاح اللغة، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان: مادة ولي.

(٢) النهاية لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران: مادة ولي.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) لسان العرب، مصدر سابق: مادة ولي.

وما نتوخى البحث فيه هو الولاية - بالكسر - لأنها تعني السلطنة والتدبير والتصرّف.

معنى التكوينية لغة

التكوينية مشتقة من مادة «كون» ومعنى الكون لغة هو الحدث. قال الفيروز آبادي: «الكون الحدث، والكائنة الحادثة، والله كَوّن الأشياء وأوجدّها»^(١).

وقال ابن منظور: «الكون مصدر كان التامة، يقال: كان يكون كوناً أي وجد واستقرّ»^(٢).

وهذا هو المراد من معنى التكوينية في المقام؛ لدلالته على الإحداث والإيجاد من قبل صاحب الولاية.

ومما تقدّم يتّضح أنّ معنى الولاية التكوينية - لغةً - هي القدرة على التصرّف في الأمور الكونية التي تتجاوز القدرة العادية في التعامل مع النواميس الطبيعية، مثل إحياء الموتى، أو طيّ الأرض، أو الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف، أو تحريك الرياح...

الولاية التكوينية اصطلاحاً

الظاهر أنّ المعنى الاصطلاحي للولاية التكوينية هو نفس المعنى اللغوي، وهو تصرّف موجود في موجود آخر؛ لتسلّطه وقدرته عليه.

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة - بيروت: ج ٤ ص ٢٦٤.

(٢) لسان العرب، مصدر سابق: مادة «كان».

الدليل على إمكانية توفر الولاية التكوينية لبعض الناس

لكي يتّضح الدليل على إمكانية توفر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى، من دون استلزام ذلك أيّ محذور، لابدّ من بيان عدد من المقدمات:

المقدمة الأولى: خلق الله العالم على وفق النظام الأحسن

ولإثبات هذه المقدمة توجد عدّة أدلّة؛ منها:

الدليل العقلي على النظام الأحسن

حاصل هذا الدليل: أنّ الله تعالى لو لم يخلق هذا العالم على وفق النظام الأحسن، فإنّ ذلك يرجع إمّا لعدم علمه بوجود نظام أحسن مما خلق، وهذا واضح البطلان؛ لما ثبت في محله من أنّ علم الله تعالى غير محدود وغير متناهٍ وأنّه لا يعزب عن علمه شيء.

وإمّا يرجع إلى أنّه تعالى وإن كان يعلم بوجود نظام أحسن مما خلق، إلّا أنّه تعالى غير قادر على الإيجاد.

وهذا الاحتمال باطل أيضاً؛ لما ثبت في محله من أنّ قدرته تعالى غير متناهية وغير محدودة بحدّ، وهو القادر على كلّ شيء.

وإمّا يرجع إلى أنّ الله تعالى وإن كان عالماً وقادراً على إيجاد النظام الأحسن

لكنه لا يفعل ذلك لأجل بخل فيه، حاشاه. وهذا الاحتمال واضح البطلان أيضاً؛ لما ثبت في محله من أن الله تعالى هو الجواد الكريم الغني الحميد. وبهذا يتّضح أن نظام هذا العالم خلق على وفق النظام الأحسن ولا يمكن أن يوجد نظام أفضل وأحسن منه؛ لوجود المقتضي وفقد المانع. قال الطباطبائي تحت عنوان: «أنّ النظام الكوني في غاية ما يمكن من الحسن والإتقان» ما نصّه: «إنّ النظام الجاري في الخلقة أتقن نظام وأحكمه لأنّه رقيقة العلم؛ العلم الذي لا سبيل للضعف والفتور إليه بوجه من الوجوه»^(١).

الدليل النقلي على النظام الأحسن

١. الدليل القرآني

ثمّة عدد من النصوص القرآنية تشهد بوضوح على أن نظام هذا العالم على أحسن ما يمكن، ومن هذه النصوص:

١ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾^(٣).

وتقريب الاستدلال: أنّ معنى الحسن «عبارة عن كلّ مبهج - بصيغة الفاعل - مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ»^(٤).

(١) نهاية الحكمة، العلامة الطباطبائي، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي: ص ٣٠٩.

(٢) الزمر: ٦٢.

(٣) السجدة: ٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق.

وعلق الطباطبائي على هذا المعنى بقوله: «وحيقيقته [الحسن] ملائمة أجزاء الشيء بعضها لبعض والمجموع للغرض والغاية الخارجة منه. فحسن الوجه تلاؤم أجزائه من العين والحاجب والأنف والفم وغيرها، وحسن العدل ملائمة للغرض من الاجتماع المدني وهو نيل كل ذي حقّ حقّه، وهكذا. والتدبّر في خلقه الأشياء وكلّ منها في نفسه متلائم الأجزاء بعضها لبعض والمجموع من وجوده مجهّز بما يلائم كماله وسعاداته تجهيزاً لا أتمّ ولا أكمل منه يعطي أن كلّاً منها حسن في نفسه حسناً لا أتمّ وأكمل منه بالنظر إلى نفسه»^(١).

إذاً ما من مخلوق إلّا وخلق على أفضل وجه، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ وهذه الآية المباركة إذا ضمّت إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يتبين أن كل شيء خلقه الله تعالى فهو مخلوق على أحسن وجه وأتقنه وأحكمه.

٢ - قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿كُلُّ يَعمَلٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٣).

فالآية الأولى تشير إلى أن الأسماء الحسنى هي لله تعالى - أي الأسماء الأفضل والأحسن، كما هو واضح من صيغة التعبير بـ(الحسنى) وهي من أفعال التفضيل، بخلاف الحسنة.

(١) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، قم:

ج ١٦، ص ٢٤٩.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) الإسراء: ٨٤.

وبالانضمام إلى الآية الثانية وهي قوله ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(١) يتضح أنّ عمل الله تعالى وفعله هو الأحسن؛ لأنّ شاكلته تعالى هي خلق كلّ شيء على النحو الأحسن والأفضل - كما هو مقتضى الآية المباركة. والنتيجة أنّ عالم الوجود والخلقة خلق على وفق أحسن وأفضل نظام وأبلغه إحكاماً وإتقاناً.

٢. التأييد الروائي

هناك عدّة من الروايات تدلّ بوضوح على أنّ الله تعالى خلق هذا العالم على وفق النظام الأحسن ولا يوجد أحسن منه، ومن هذه الروايات:

- عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: «قدّر ما خلق فأحكم تقديره، ودبّر به فألطف تدبيره، ووجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته، ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته، ولم يستصعب إذ أمر بالمضي على إرادته. وكيف وإنّما صدرت الأمور عن مشيئته.
- المنشئ أصناف الأشياء بلا رويّة فكر آل إليها، ولا قريحة غريزة أضمر عليها، ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور، ولا شريك أعانه على ابتداء عجائب الأمور، فتمّ خلقه وأذعن لطاعته...
- فأقام من الأشياء أودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادّها، ووصل أسباب قرائنها وفرقها، أجناساً مختلفات في الحدود والأقدار والغرائز والهيئات، بدايا خلّاق أحكم صنعها»^(١).
- وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى،

١٤١٢، دار الذخائر، قم: ج ١، ص ١٦٥ - ١٧٧.

أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حدّه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته»^(١) ونحو ذلك من الروايات التي تؤكد المضمون ذاته.

إذاً هذا العالم خلقه تعالى على وفق النظام الأحسن ولا يمكن أن يُتصوّر وجود نظام أفضل منه، وبالتأمّل في حلقات هذا النظام نجد أنّه نظام قائم على السببية والمسببية، بمعنى أنّ الله تعالى شاءت إرادته أن لا يتحقّق شيء إلا على بعد تحقّق سببه وعلّته، كما سيّضح في المقدّمة الثانية.

المقدّمة الثانية: العلاقة بين الأثر والمؤثر علاقة جعلية من الله تعالى

المقصود من هذه المقدّمة هو أنّ ما نلمسه في هذا العالم من وجود علاقة بين الأثر والمؤثر من قبيل العلاقة بين النار والإحراق والأكل والشبع وشرب الماء والارتواء ونحوها من العلائق، هي علاقة جعلية من الله تعالى. ولكي تتّضح هذه المقدّمة ينبغي التعرّض باختصار إلى النظريات المطروحة في المقام مع بيان النظرية الصحيحة.

النظريات المطروحة في تفسير العلاقة بين الأثر والمؤثر

النظرية الأولى: عدم وجود علاقة بين الأثر والمؤثر

هذه النظرية منسوبة إلى الأشاعرة، وحاصلها عدم وجود أيّ علاقة وارتباط بين الأثر والمؤثر، فلا توجد علاقة بين النار والإحراق أو بين الأكل والشبع أو شرب الماء والارتواء... وإنّما عادة الله تعالى جرت على ذلك. فالله تعالى جرت عادته على إيجاد الإحراق من خلال النار، وهكذا الأمر في جميع الظواهر الطبيعية، ولا يوجد أيّ ارتباط وعلاقة بين الأثر

(١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٦٦.

والمؤثر، فنسبة النار مثلاً إلى الإحراق أو إلى الماء على حدّ سواء.

وقد أشار الطباطبائي لهذه المقولة والأسباب التي دفعتهم لذلك، بقوله: «إنّ القرآن الكريم إذ ينسب خلق كلّ شيء إليه تعالى ويحصر العلّة الفاعلة فيه كان لازمه إبطال رابطة العلّة والمعلولية بين الأشياء، فلا مؤثر في الوجود إلّا الله، وإنّما هي عادته تعالى جرت أن يخلق ما نسمّيه معلولاً عقيب ما نسمّيه علّة من غير أن تكون بينهما رابطة توجب وجود المعلول منهما عقيب العلّة. فالنار التي تستعقب الحرارة نسبتها إلى الحرارة والبرودة على السواء، والحرارة نسبتها إلى النار والثلج على السواء، غير أنّ عادة الله جرت أن يخلق الحرارة عقيب النار، والبرودة بعد الثلج من غير أن يكون هناك إيجاب واقتضاء بوجه أصلاً»^(١).

وقد ذهب إلى هذا القول في زماننا المعاصر (ديفيد هيوم) الذي أنكر نظام العلّة والمعلولية في هذا العالم، وذهب إلى أنّ هناك تعاقباً وجودياً بين العلّة والمعلول كتعاقب الليل والنهار الذي لا علّة ولا معلولية بينهما.

نقد النظرية الأولى

تترتب على نظرية الأشاعرة عدّة من المناقشات منها:

١- إنّ هذه النظرية مخالفة لما تقرّه الفطرة والعقل والنصوص القرآنية والروائية التي تثبت أنّ نظام العلّة والمعلولية قائم بين الأشياء، كما سيأتي في النظرية الثالثة.

٢- إنّ لازم هذا اللون من التفكير من إنكار نظام السببية والعلّة يغلق

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٧ ص ٢٩٨.

الطريق لإثبات الصانع والنبوة والكتاب...

وإلى هذه الحقيقة أشار الطباطبائي بقوله: «وهذا النظر يبطل قانون العلّية والمعلولية العامّ الذي عليه المدار في القضاء العقلي، وببطلانه ينسدّ باب إثبات الصانع ولا تصل النوبة مع ذلك إلى كتاب إلهي محتجّ به على بطلان رابطة العلّية والمعلولية بين الأشياء، وكيف يسع أن يبطل القرآن الشريف حكماً صريحاً عقلياً ويعزل العقل عن قضائه»^(١).

وقال صدر المتألهين: «هذه مسألة مهمّة لا أهمّ منها؛ لأنّ القول بالعلّة والمعلول مبنى جميع المقاصد العلمية ومبنى علم التوحيد والربوبية والمعاد وعلم الرسالة والإمامة وعلم النفس وما بعدها وما قبلها وعلم تهذيب الأخلاق والسياسات وغير ذلك، وبإنكاره وتمكين الإرادة الجزافية كما هو مذهب أكثر العامة (يعني الأشاعرة المنكرين للسبب المجوّزين للترجيح من غير مرجّح) تنهدم قواعد العلم واليقين»^(١).

٣- بإنكار قانون السببية بين الأشياء، يبطل دعوى الأشاعرة أنفسهم، فما قدّموه من أدلّة لمقولتهم تصبح باطلة؛ لأنّ المفروض - على حسب زعمهم - أنه لا توجد علاقة بين الدليل والنتيجة.

النظرية الثانية: نظرية التلازم الذاتي بين الأثر والمؤثر

معنى هذه النظرية أنّ هنالك تلازماً ذاتياً بين العلّة والمعلول وبين الأثر والمؤثر وبين المقدمات والنتائج المترتبة عليها، كالتلازم الذاتي بين الأربعة والزوجية، فإنّ لازم الأربعة هو الزوجية، ولا توجد أربعة من دون زوجية.

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي: ج ٨، ص ٣٨٦.

فهناك تلازم ذاتي بين النار والإحراق ولا يمكن التفكيك بينهما، فإذا أراد الله تعالى أن يوجد الإحراق فلا بد أن يوجد من خلال النار. أما قضية عدم إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار كما في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، فقد أجاب عنها أصحاب هذه النظرية، بأن الله تعالى بقدرته التكوينية أبدل النار إلى غير النار، ولو كانت النار باقية فيستحيل انفكاك الإحراق عنها، لاستحالة انفكاك المسبب عن سببه. إذاً النظام القائم في عالم الطبيعة هو نظام قائم على قانون السببية والمسببية، وإن العلاقة بينهما ذاتية لا بجعل جاعل. وقد ذهب إلى هذه النظرية جملة من الفلاسفة. ومناقشتها تتضح من خلال عرض النظرية الثالثة.

النظرية الثالثة: العلاقة بين الأثر والمؤثر علاقة جعلية من الله تعالى

وهذه النظرية قريبة من النظرية الثانية. وحاصلها: إن نظام السببية هو النظام الحاكم والقائم في هذا العالم، إلا أن هذه العلاقة بين السبب والمسبب ليست علاقة ذاتية وإنما هي علاقة جعلية من الله تعالى، فتأثير العلة في معلولها والأثر في مؤثره وإن كان ضرورياً إلا أنه ليس من ذات العلة والأثر، وإنما بما أفاده الله تعالى عليها. فلم تكن ضرورتها ناشئة من نفسها واقتضاء ذاتها.

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الحقيقة بقوله: «قد بين القرآن الشريف - على ما يفهم من ظواهره - قوانين عامة كثيرة في المبدأ والمعاد وما رتبته الله تعالى من أمر السعادة والشقاوة ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا

(١) الأنبياء: ٦٩.

عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿١﴾ لَكِنَّا جَمِيعاً قَوَانِينُ كَلِيَّةٍ ضَرُورِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُا ضَرُورِيَّةٌ لَا فِي أَنْفُسِهَا وَبِاقْتِضَاءٍ مِنْ ذَوَاتِهَا، بَلْ بِمَا أَفَادَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا مِنَ الضَّرُورَةِ وَاللَّزُومِ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْحُكُومَةُ الْعَقْلِيَّةُ الْقَطْعِيَّةُ مِنْ جِهَتِهِ تَعَالَى وَبِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَمِنْ الْبَيِّنِ أَنَّ فِعْلَهُ تَعَالَى لَا يَجْبِرُهُ تَعَالَى عَلَى مَوْدَى نَفْسِهِ، وَلَا يَغْلِبُهُ فِي ذَاتِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ فَكَيْفَ يَغْلِبُهُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ فِي عَيْنِهِ وَأَثَرِهِ، فَافْهَمْ ذَلِكَ.

فَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ الَّذِي يَحْكُمُ بِمَا يَحْكُمُ بِإِفَاضَةِ اللَّهِ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَوْ تَكُونَ الْحَقَائِقُ الَّتِي إِنَّمَا وَجَدَتْ أَحْكَامَهَا وَأَثَارَهَا بِهِ تَعَالَى، حَاكِمَةٌ عَلَيْهِ مَقْتَضِيَّةٌ فِيهِ بِالْحُكْمِ وَالْإِقْتِضَاءِ اللَّذِينَ هُوَ الْمَبْقَى لَهُمَا الْقَاهِرُ الْغَالِبُ عَلَيْهِمَا. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: مَا فِي الْأَشْيَاءِ مِنْ إِقْتِضَاءٍ وَحُكْمٍ إِنَّمَا هُوَ أَثَرُ التَّمْلِيكِ الَّذِي مَلَكَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَلَا مَعْنَى لِأَنْ يَمْلِكُ شَيْءٌ بِالْمَلِكِ الَّذِي مَلَكَهُ اللَّهُ بِعَيْنِهِ مِنْهُ تَعَالَى شَيْئاً فَهُوَ تَعَالَى مَالِكٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ غَيْرُ مَمْلُوكٍ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ أَصْلًا.

فَلَوْ أَثَابَ اللَّهُ الْمَجْرِمَ أَوْ عَاقَبَ الْمُثِيبَ أَوْ فَعَلَ أَيُّ فِعْلٍ أَرَادَ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ضَيْرٌ، وَلَا مَنَعُهُ مَانِعٌ مِنْ عَقْلِ أَوْ خَارِجٍ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى وَعَدْنَا وَأَوْعَدْنَا بِالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ وَحَسَنَ الْجَزَاءِ وَسُوءَ الْجَزَاءِ، وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ وَأَخْبَرْنَا مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ أَوْ الْعَقْلِ بِأُمُورٍ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ فَسَكَنْتْ نَفُوسُنَا بِهِ وَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُنَا إِلَيْهِ، بِمَا لَا طَرِيقَ لِلرَّيْبِ إِلَيْهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ ^(٣) وَفِي

(١) النحل: ٨٩.

(٢) آل عمران: ٩، والرعد: ٣١.

(٣) ص: ٨٤.

معناهما الضرورة العقلية في أحكامها»^(١).

وبهذا يتبين أنّ السبب المقتضي لوجود مسببه لا يؤثر أثره إلا مع الإذن الإلهي في ذلك، وفي هذا الضوء فقد يوجد المقتضي، ولا يوجد الأثر، فلو تحققت النار فلا يتحقق الإحراق إلا أن يأذن الله تعالى، وقد يوجد الماء المقتضي لرفع العطش، لكن لا يؤثر ولا يحصل الارتواء إلا بإذنه تعالى. إذاً حاصل هذه النظرية هو أن ترتب السبب على المسبب ليس ترتباً ذاتياً - كما في النظرية الثانية - وإنما هو بجعل الله تعالى وإذنه.

وهذه النظرية هي النظرية الصحيحة؛ لما يلي:

١. إنَّ قانون العلّية قائم بين الموجودات: وهذا الأمر مما تقرّر و تدعّن به فطرة الإنسان من أنّ لكلّ حادث علّة، وإلى هذا المعنى أشار القرآن حيث ثبتت للحوادث الطبيعية أسباباً ويصدق قانون العلّية العامّة كما يثبت ضرورة العقل وتعتمد عليه الأبحاث العلمية والأنظار الاستدلالية، فإنّ الإنسان مفطور على أن يعتقد لكلّ حادث مادّي علّة موجبة من غير تردّد وارتياب. وكذلك العلوم الطبيعية وسائر الأبحاث العلمية تعلّل الحوادث والأمر المربوطة بما تجده من أمور أخرى صالحة للتعليل، ولا نعني بالعلّة إلا أن يكون هناك أمر واحد أو مجموع أمور إذا تحققت في الطبيعة مثلاً تحقّق عندها أمر آخر نسمّيه المعلول بحكم التجارب، كدلالة التجربة على أنّه كلّما تحقّق احتراق لزم أن يتحقّق هناك قبله علّة موجبة له من نار أو حركة أو اصطكاك أو نحو ذلك، ومن هنا كانت الكلّية وعدم التخلف من أحكام العلّية والمعلولية ولوازهما.

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٥٤.

٢. إنّ الله تعالى هو جاعل السببية والمسببية بين الأشياء. وهذه الحقيقة تدلّ عليها جملة من النصوص القرآنية والروائية، كآيات القدر، ولكي يتّضح ذلك لابدّ من معرفة المراد بالقدر.

القدر: هو هندسة الشيء وحدّ وجوده، ويؤيّد ذلك ما ورد من تفسير القدر بمثل العرض والطول وسائر الحدود والخصوصيات الطبيعية الجسمانية في عدّة من الروايات .

• عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «لا يكون إلّا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى. قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل. قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه. قلت: فما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه. قلت: فما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مردّ له»^(١).

• وروي هذا المعنى عن ابن أبي عمير عن محمد بن إسحاق عن الرضا عليه السلام في خبر مفصّل وفيه: «فقال: أو تدري ما قدر؟ قال: لا، قال: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء»^(٢).

ومن هنا يظهر أنّ المراد بكلّ شيء في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾^(٣) وقوله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٤) وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٥) وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ *

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت: ج ٥، ص ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ج ٥، ص ١٢٢.

(٣) الفرقان: ٢.

(٤) الحجر: ٢١.

(٥) القمر: ٤٩.

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿١﴾ وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ^(٢)، هو أنّ الأشياء الواقعة في عالمنا المشهود متعلّقة الوجود والآثار بعلة وشرائط معيّنة، فيختلف وجودها وأحوالها وآثارها باختلاف عللها وشرائطها. فالتقدير الإلهي هو هداية هذا النوع من الموجودات إلى ما قدّر لها في مسير وجودها، فإنّ التقدير والقضاء الإلهي هو تعبير آخر عن نظام السببية والمسببة.

النتيجة: أنّ القرآن الكريم في الوقت الذي يثبت أنّ قانون السببية والمعلولية هو القائم بين الأشياء، كذلك يثبت أنّ هذه الروابط والعلاقات بين الأسباب والمسببات مجعولة من الله تعالى.

ولعل في قوله الثاني: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ ^(٣) دلالة على أنّه تعالى جعل بين الأشياء جميعها ارتباطات واتصالات له أن يبلغ إلى كلّ ما يريد من أيّ وجه شاء، وليس هذا نفياً للعلية والسببية بين الأشياء بل إثبات أنها بيد الله سبحانه يحوّلها كيف شاء وأراد، ففي الوجود عليّة وارتباط حقيقي بين كلّ موجود وما تقدّمه من الموجودات المنتظمة غير أنها ليست على ما نجده بين ظواهر الموجودات بحسب العادة (ولذلك نجد الفرضيات العلمية الموجودة قاصرة عن تعليل جميع الحوادث الوجودية) بل على ما يعلمه الله تعالى وينظّمه.

وهناك بعض الروايات تؤكّد هذه الحقيقة منها ما ورد عن أبي عبد

(١) الأعلى: ٢-٣.

(٢) التغابن: ١١.

(٣) يوسف: ٢١.

الله عليه السلام قال: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح مفتاحاً، وجعل لكلّ مفتاح علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً»^(١).

وهناك نصوص قرآنية وردت في موارد خاصّة تؤكّد هذه الحقيقة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) ونحوها.

قانون العلّية شامل لكلّ خارق للعادة

إنّ قانون العلّية والمعلولية شامل لكلّ خارق للعادة سواء كان الخارق معجزة أو كرامة أو سحراً ونحوها.

فالمعاجز التي جاء بها الأنبياء من قبيل تصرّف نوح عليه السلام في الماء وتصرّف موسى عليه السلام في البحر وتصرّف سليمان عليه السلام في الهواء وتصرّف صالح عليه السلام بالجبال وإخراج الناقة منها وتصرّف نبيّنا صلى الله عليه وآله في الكواكب وانشقاق القمر ونحوها من التصرفات الكونية كلّها واقعة تحت نظام العلّية المعلولية وبإذن منه تعالى.

والدليل على شمول قانون العلّية لكلّ خارق للعادة، يتّضح بعد بيان الأمرين التاليين:

الأمر الأول: إنّ كلّ شيء مخلوق الله تعالى، كما أشارت إلى ذلك الآية المباركة ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣) فالآية تقرّر أنّه ما من

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، طهران: ص ٢٦.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) المؤمن: ٦٢.

شيء إلا وهو مخلوق لله تعالى.

الأمر الثاني: إنّ نظام الخلق على نسق واحد، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَآئَةٍ إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) فهي واضحة الدلالة على أنّ نظام الخلق والإيجاد على نسق واحد منظم، وهو نظام الأسباب والمسببات.

النتيجة: إنّ نظام الموجودات المادّية سواء كانت على جري العادة أو خارقة لها، على صراط مستقيم غير متخلّف ووتيرة واحدة في إسناد كلّ حادث فيه إلى العلة المتقدّمة الموجبة له.

إذاً قانون العلّية والمعلولية شامل لكلّ خارق للعادة معجزة أو غيرها.

السبب القريب المؤثر في حصول الخارق للعادة

بعد أن اتّضح أنّ قانون العلّية والمعلولية شامل لكلّ خارق للعادة، بإذن الله تعالى، يطرح السؤال التالي: ما هو السبب القريب المؤثر في حصول الأمر الخارق للعادة؟

ولنأخذ على سبيل المثال المعجزة فنقول هل لنفس النبيّ تأثير في حصول المعجزة؟ والاحتمالات في المقام ثلاثة:

الاحتمال الأول: السبب القريب هو الله تعالى. إنّ السبب القريب في التصرّف في الظواهر الكونية هو الله تعالى مباشرة وبلا توسط أيّ موجود آخر، إلّا أنّ الله تعالى لحكمته شاء أن لا يحقق التصرّف التكويني أو المعجزة من قبل النبيّ إلّا بعد دعاء النبيّ لذلك.

(١) هود: ٥٦.

إذاً هذا الاحتمال يذهب إلى أنّ الفاعل والمتصرّف المباشر في الخارق هو الله تعالى لكن بعد دعاء النبيّ.

وهذا الاحتمال باطل؛ لما تبين في البحث المتقدّم في آيات القدر من أنّ الله تعالى وإن كان قادراً على كلّ شيء إلاّ أنه تعالى شاء أن لا يحقّق شيء إلاّ من خلال مجموعة من الشرائط والعلل، لا أن يتحقّق من الله مباشرة بلا توسّط أيّ شيء آخر.

الاحتمال الثاني: السبب القريب في تحقّق الخارق هو القوانين الطبيعية.

المؤثر في تحقّق الخارق أو المعجز - حسب هذا الاحتمال - هو نفس القوانين الطبيعية، غاية ما هنالك أنّ الله تعالى أطلع النبيّ على هذه القوانين دون عامّة البشر، لذا يتحقّق المعجز والخارق على يد النبيّ دون غيره من الناس لاطلاعه على هذه القوانين دون غيره.

ويناقش الاحتمال الثاني بأنّه:

١- ما تقدّم إثباته في النظرية الثالثة في تفسير العلاقة بين الأثر والمؤثر، وأن كلّ شيء لا يتحقّق إلاّ بعد تحقّق سببه المقرون بالإذن الإلهي، فجميع الأشياء التي تصدر عن الإنسان وإن كانت بيد الإنسان واختياره، إلاّ أنّ ذلك يتوقّف على إرادة الله تعالى ومشيتّه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

(١) الدهر: ٣٠.

(٢) التكوير: ٢٧ - ٢٩.

وبهذا يتّضح أنّ جميع الأمور سواء كانت أموراً عادية أم خارقة للعادة، فهي في الوقت الذي تكون مستندة إلى علل وأسباب طبيعية، متوقّفة على إرادة الله تعالى، ويستحيل أن يتحقّق شيء إلاّ بإذن منه سبحانه كما تقدّم.

وفي هذا الضوء يتبين أنّ السبب القريب لتحقيق الخارق للعادة والمعجز ليس هو القوانين الطبيعية وإلا خرجت المعجزة عن كونها معجزة وبطلت دعوى النبي للنبوّة.

وسياتي في الاحتمال الثالث أنّ لنفس النبي أو الآتي بالخارق تأثيراً آخر في تحقّق وحصول الخارق للعادة.

الاحتمال الثالث: إنّ السبب القريب في تحقّق المعجز هو نفس النبي بإذن الله تعالى، كما هو الحال في تصرّف الإنسان في بدنه من القيام والقعود ونحوها من الأفعال، فإنّ الإنسان وإن كان هو الذي يقوم بتلك الأفعال لكن بإذن وإقدار الله تعالى، ولو لم يشأ الله ذلك لما تمكن الإنسان من ذلك الفعل.

وهكذا الأمر بالنسبة للإتيان بالخارق للعادة والتصرّف في الكون، فالذي يأتي بالمعجز هو النبي لكن بإذن منه تعالى، ويستدلّ على ذلك بعدّة أدلّة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١).

وتقريب الاستدلال بالآية المباركة هو أنّ إتيان الرسول بمعجزة

(١) المؤمن: ٧٨.

مشروط بالإذن الإلهي، مما يكشف عن وجود مقتضى في نفس الرسول أو النبي، إلا أن هذا المقتضى لا يؤثر أثره إلا بإذن الله تعالى. وبهذا يتبين أن السبب القريب لتحقيق المعجزة هو نفس النبي لأنه المقتضى لذلك.

وهذه الحقيقة يقررها الطباطبائي في تعليقه على الآية المباركة حيث قال: «أفاد إناطة إتيان آية من أي رسول بإذن الله سبحانه فيين أن إتيان الآيات المعجزة من الأنبياء وصدورها عنهم إنما هو لمبدأ مؤثر موجود في نفوسهم الشريفة متوقف في تأثيره على الإذن»^(١).

إذاً السبب القريب للإتيان بالخارق للعادة، كالمعجزة والكرامة، هو نفس النبي أو الإمام أو الولي، وهو بمثابة المقتضى لتحقيق الخارق. ومن المعلوم أن السبب القريب لتحقيق الخارق للعادة لا يختص بالأنبياء والأولياء، وإنما هو شامل لكل خارق من سحر أو كرامة ونحوها، فإن نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك وإن توقف على الإذن الإلهي.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢) أي إن السحر متوقف على مبدأ وهو نفس الساحر المتوقف على الإذن الإلهي.

(١) الميزان في تفسير القرآن في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ٧٩.

(٢) البقرة: ١٠٢.

والآية كما أنها تصدّق صحّة السحر في الجملة، كذلك تدلّ على أنّ السحر أيضاً كالمعجزة في كونه عن مبدأ نفساني في الساحر لمكان الإذن. وبالجملة جميع الأمور الخارقة للعادة سواء سمّيت معجزة أو سحراً أو غير ذلك - ككرامات الأولياء وسائر الخصال المكتسبة بالارتياضات والمجاهدات - جميعها مستندة إلى مبادئ نفسانية ومقتضيات إرادية على ما يشير إليه كلامه سبحانه، إلا أنّ كلامه ينصّ على أنّ المبدأ الموجود عند الأنبياء والرسل والمؤمنين هو الفائت الغالب على كلّ سبب وفي كلّ حال؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢). والآيات مطلقة غير مقيدة.

ومن هنا يمكن أن يستنتج أنّ هذا المبدأ الموجود المنصور أمر وراء الطبيعة وفوق المادّة، فإنّ الأمور المادّية مقدّرة محدودة مغلوبة لما هو فوقها قدراً وحداً عند التزاحم والمغالبة، والأمور المجرّدة أيضاً وإن كانت كذلك إلاّ أنها لا تزاحم بينها ولا تمنع إلاّ أن تتعلّق بالمادّة بعض التعلّق، وهذا المبدأ النفساني المجرّد المنصور بإرادة الله سبحانه إذا قابل مانعاً مادّياً أفاض إمداداً على السبب بما لا يقاومه سبب مادّي يمنعه. وبهذا يتّضح أنّ السبب القريب للإتيان بالخارق للعادة كالمعجزة

(١) الصافات: ١٧١ - ١٧٣.

(٢) المجادلة: ٢١.

(٣) المؤمن: ٥١.

والكرامة هو نفس النبيّ أو الإمام أو الولي، وأنّ السبب القريب لتحقيق الخارق للعادة لا يختصّ بالأنبياء والأولياء، وإنّما هو شامل لكلّ خارق من سحر أو كرامة ونحوها، فإنّ نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك وإن توقّف على الإذن الإلهي.

المقدمة الثالثة: رؤية الملكوت موجبة للتصرف في التكوين

ولكي تتضح هذه المقدمة لابدّ من بيان عدد من الأمور التمهيديّة:

١. إنّ الله تعالى مصدر جميع الكمالات

وهذا الأمر تقدّم في أبحاث التوحيد، وتبيّن في محله أنّ الله تعالى جميع الكمالات علمية كانت كالعلم والقدرة والحياة، أو عملية؛ من قبيل أنّه تعالى كتب على نفسه الرحمة والعدل، وقد ثبت في محله أنّ جميع هذه الكمالات هي كمالات لامتناهية وثابتة له بنحو الاستقلال^(١).

٢. معنى القرب والبعد عن الله تعالى

القرب إلى الله تعالى ليس من قبيل القرب المكاني أو القرب الزماني اللذين هما من عوارض الجسميّة؛ لأنّ الله تعالى منزّه عن ذلك، وهو تعالى المحيط بالمكان والزمان ولا يحويه مكان ولا زمان. ففي القرب المكاني أو الزماني - دائماً - يوجد تقارن بين الشيئين المتقاربين، فإذا كان (أ) قريباً من (ب) فلا بدّ أن يكون (ب) قريباً من (أ).

وهذا المعنى من القرب والبعد يختصّ بعالم المادّة، أمّا في الأمور المجرّدة عن المادّة إذا قيست إلى المادّة نفسها فيمكن أن يكون أحد الطرفين قريباً

(١) انظر التوحيد للعلامة السيد كمال الحيدري، تقرير جواد علي كسار، دار فراق، ١٤٢١ هـ.

والطرف الآخر بعيداً وهو ما يسمّى القرب المعنوي، وقرب الإنسان من الله تعالى وبعده عنه من هذا القبيل، فإن الله قريب من عباده، لكن العبد قد يكون بعيداً عن الله وقد يكون قريباً منه؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢) وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ تَحِيْبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٤).

إذاً القرب والبعد من الله تعالى مقولة أخرى تختلف عن البعد والقرب في عالم المادّة، وإلى هذا المعنى أشارت جملة من الروايات منها:

• عن حماد بن بشير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه. وإنّه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتّه وإن سألني أعطيتّه، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي عن موت المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»^(٥).

• وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الله تعالى يقول: من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيتّه

(١) الحديد: ٤.

(٢) ق: ١٦.

(٣) الأنفال: ٢٤.

(٤) البقرة: ١٨٦.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية أفندي، ط ٣،

١٣٨٨ هـ: ح ٢ ص ٣٥٣.

هرولة»^(١) ونحوها من الروايات التي تشاركها المضمون ذاته.

فكلما كان الإنسان أكثر كمالاً وأقلّ نقصاً فهو أقرب إلى الله تعالى، وكلما كان أكثر نقصاً وأقلّ كمالاً فهو بعيد عن الله تعالى.

ووجه ذلك: هو أنّ الله تعالى منشأ لجميع الكمالات، فلا يمكن تصوّر موجود أكمل منه تعالى، فالكمالات العلمية والعملية اللامتناهية محصورة بالحقّ سبحانه، فهو مركز ومنشأ لكلّ كمال ومعدن الجمال، وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان الذي يكون متحلّياً بالصفات الجمالية للذات الإلهية من العلم والحلم والعدل والعفو واللفظ والرحمة والحكمة والكرم ونحوها، يكون أقرب إلى الله تعالى، وكلما ابتعد الإنسان عن هذه الصفات الإلهية فهو بعيد عن الله تعالى.

وهذه الصفات الإلهية وإن كانت غير محدودة وواجبة في الذات الإلهية ولا يمكن أن يتّصف بها المخلوق بما لها من صفة عدم التناهي، إلّا أنّ الإنسان يكون قريباً من الله بمقدار اضطراره وتحلّيه بهذه الصفات الإلهية. ومن هنا يختلف الناس في درجات القرب الإلهي، كلّ على قدر تمثله بالصفات الإلهية اللامتناهية؛ ولذا تكون مراتب ودرجات القرب الإلهي غير متناهية، لعدم محدودية وتناهي صفاته تعالى.

إذاً القرب من الله والصعود إليه تعالى هو التحقق بصفات الله التي يوصف بها، وإن لم يكن وصف الإنسان بالحدّ الذي يوصف به تعالى. فكلما

(١) عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، المطبعة: سيد الشهداء، قم: ج ١، ص ٥٦.

ازداد سعي العبد لتحقيق الصفات الإلهية في نفسه، ازداد قربهِ إلى الله تعالى، وكلّمَا ابتعد عن هذه الصفات ابتعد عن الله تعالى.

٣. قوّة الأثر تتناسب طردياً مع القرب الإلهي

حاصل هذا الأمر أنّ القرب الإلهي يترتب عليه أثر تكويني. وبيانه: بناء على ما تقدّم في الأمر الأول من أنّ الله تعالى منبع الكمالات العلمية والعملية من العلم والقدرة والرحمة والعدالة، وتقدّم كذلك في الأمر الثاني أنّ معنى القرب هو التشبّه بأخلاق وصفات الله العلمية والعملية. فعلى هذا الأساس كلّما كان الإنسان أكثر علماً وقدرة وعدلاً كان أقرب إلى الله تعالى، ومن ثم يكون أثره في التصرف بالموجودات أوسع وأكثر. وبالعكس كلّما كان الإنسان بعيداً عن الله تعالى كان أقلّ أثراً.

٤. الإنسان سائر إلى الله تعالى في سفر معنوي تكاملي

المقصود من كون الإنسان سائراً إلى الله تعالى، هو أنّ الإنسان في هذه النشأة المادّية ينطلق في سفر وسير معنوي إلى الله تعالى، وقد أقيمت على ذلك عدّة أدلّة عقلية ونقلية، وسوف نكتفي بالنصوص القرآنية والروائية الدالّة عليه. أمّا الأدلّة القرآنية على السير المعنوي للإنسان، فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمُلْقِيهِ﴾^(١).

المراد بالكدح هو السعي والعناء وهو متضمّن معنى السير، وقيل: الجهد... ومن الواضح أنّ المراد بالكدح في الآية المباركة متضمّن معنى السير، بقرينة (إلى) الواردة في الآية.

(١) الانشقاق: ٦.

وفي هذا الضوء فإنّ مبدأ مسير الإنسان هو النشأة المادّية، والمنتهى هو الله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ وهذا السير ليس سيراً مادّياً وإنّما هو سير معنويّ، لأنّ الغاية والمقصد وهو الله تعالى هو أمر مجرد لا مادّي، فلا بدّ أن يكون السير إلى الأمر المجرد سيراً من سنخه وهو السير المعنوي لا المادّي.

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(١) وهذه الآية المباركة تدلّ على أنّ هناك سفرّاً مبدؤه النشأة المادّية وهي نشأة الدنيا، ومنتهاه هو الحقّ تعالى، كما هو ظاهر من التعبير بقوله «إلى» في قوله ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.

وأما الشواهد الروائية على السير المعنوي للإنسان فقد تضافرت الروايات في إثبات هذه الحقيقة، وهي أنّ للإنسان سفرّاً معنوياً يبدأ من هذه النشأة إلى الله تعالى، ومن هذه الروايات:

١- قوله صلّى الله عليه وآله في خطبته المشهورة التي خطبها في مسجد الخيف في حجة الوداع حيث قال: «وأنتم واردون عليّ الحوض، حوضي غداً، وهو حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه أقداح من فضّة عدد نجوم السماء، ألا وإني سائلكم غداً ماذا صنعتُم في ما أشهدت الله به عليكم في يومكم هذا إذا وردتم عليّ حوضي، وماذا صنعتُم بالثقلين من بعدي؟ فانظروا كيف تكونون خلفتموني فيهما حين تلقوني؟ قالوا: وما هذان الثقلان يا رسول الله؟ قال: أمّا الثقل الأكبر فكتاب الله عزّ وجلّ، سبب ممدود من الله ومُنّي في أيديكم، طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقي إلى أن تقوم الساعة، وأمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن وهو عليّ بن أبي طالب وعترته عليهم السلام،

(١) آل عمران: ٥٢.

وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(١).

ومن الواضح أنَّ التعبير «بحبل الله ممدود بينكم وبين الله عزَّ وجلَّ» يدلُّ على وجود مسيرة للإنسان تبدأ من هذه النشأة ومنتهاها الله تعالى.

٢- عن عمار بن أبي الأحوص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ وضع الإيمان على سبعة أسهم: على البرِّ والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثم قسَّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل، محتمل، وقسَّم لبعض الناس السهم ولبعض السهمين ولبعض الثلاثة حتى انتهوا إلى سبعة، ثم قال: لا تحملوا على صاحب السهم سهمين ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهضوهم. ثم قال: كذلك حتى ينتهي إلى سبعة»^(٢).

٣- عن يعقوب بن الضحاك، عن رجل من أصحابنا سراج وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة وهو بالخير أنا وجماعة من مواليه، فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتمين. قال: وكان فراشي في الحائر الذي كنَّا فيه نزولاً، فجئت وأنا بحال فرميت بنفسي، فبينما أنا كذلك إذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل. قال: فقال: قد أتيناك، أو قال: جئناك. فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشي، فسألني عما بعثني له فأخبرته. فحمد الله ثم جرى ذكر قوم، فقلت: جعلت فداك إنا نبرأ منهم، إنَّهم لا يقولون ما نقول. قال: فقال: يتولَّونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت: نعم. قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، قم: ص ٦٦.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٢.

أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا - جُعلت فداك - قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفترأه اطرأهنا؟ قال: قلت: لا والله، جُعلت فداك، ما نفعل؟ قال: فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم، إنّ من المسلمين من له سهم ومنهم من له سهمان ومنهم من له ثلاثة أسهم، ومنهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة، ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة...»^(١).

٤ - عن سدير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنّ المؤمنين على منازل، منهم على واحدة ومنهم على اثنتين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ستّ، ومنهم على سبع، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقوّ، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقوّ، وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقوّ، وعلى صاحب الأربع خمساً لم يقوّ، وعلى صاحب الخمس ستّاً لم يقوّ، وعلى صاحب الستّ سبعم لم يقوّ، وعلى هذه الدرجات»^(٢).

ومن جميع ذلك يتّضح أنّ الإنسان سائر إلى الله تعالى، حيث إنّ الكمالات الإلهية لا متناهية، وعلى هذا فلا توجد درجة ونقطة يقف عندها الإنسان في مسيرته التكاملية.

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٥.

٥. المراد من الملكوت

من الحقائق الواضحة التي أشار إليها القرآن الكريم أنّ لكلّ شيء ظاهراً وباطناً، عبّر القرآن عن الظاهر بالملك أو التنزيل وعبّر عن الباطن بالملكوت والتأويل، وكلّها تعبيرات عن حقيقة واحدة وهي أنّ للأشياء ظاهراً وباطناً.

٦. الغاية من رؤية الملكوت حصول اليقين القرآني

ليان هذه الحقيقة لابدّ من بيان الفرق بين اليقين القرآني واليقين الاصطلاحي. فإنّ اليقين هو العلم وقد عرّف العلم بأنّه حضور المعلوم لدى العالم، وينقسم قسمة حاصرة إلى قسمين:

الأول: العلم الحسولي: وهو حضور المعلوم لدى العالم بباهيته، أي بحضور صورة المعلوم لدى الذهن وليس حضور المعلوم بوجوده الخارجي الذي يترتب عليه الآثار الخارجية، ويطلق على هذا النوع من العلم: الحسولي. **الثاني: العلم الحضورى:** وهو حضور المعلوم لدى النفس بنفس وجوده الخارجي لا بصورته، كعلم الإنسان بنفسه.

وإلى هذا المعنى أشار عدد من العلماء والباحثين. قال المتألّه السبزواري في اللآلي: «العلم حسوليّ وحضوريّ، والحسولي هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل. والحضورى هو العلم الذي هو عين المعلوم لا صورته ونقشه، كعلم المجرّد بذاته، أو بمعلوله كعلم الحقّ تعالى بمعلولاته، وليس بتصور ولا بتصديق لأنّ مقسمهما العلم الحسولي»^(١).

وقال الطباطبائي: «وللرواية (من عرف نفسه عرف ربه) معنى آخر أدقّ

(١) انظر عيون مسائل النفس للشيخ آية الله حسن حسن زاده آملی، انتشارات أمير كبير، طهران:

مستخرج من نتائج الأبحاث الحقيقية في علم النفس، وهو أنّ النظر في الآيات الآفاقية والمعرفة الحاصلة من ذلك نظر فكريّ وعلم حصوليّ، بخلاف النظر في النفس وقواها وأطوار وجودها والمعرفة المتجلّية منه، فإنّه نظر شهوديّ وعلم حضوريّ. والتصديق الفكريّ يحتاج في تحقّقه إلى نظم الأقيسة واستعمال البرهان، وهو باقٍ ما دام الإنسان متوجّهاً إلى مقدّماته غير ذاهل عنها ولا مشغول بغيرها، ولذلك يزول العلم بزوال الإشراف على دليله وتكثر فيه الشبهات ويثور فيه الاختلاف. وهذا بخلاف العلم النفساني بالنفس وقواها وأطوار وجودها فإنّه من العيان، فإذا اشتغل الإنسان بالنظر إلى آيات نفسه وشاهد فقرها إلى ربّها وحاجتها في جميع أطوار وجودها، وجد أمراً عجيباً، وجد نفسه متعلّقة بالعظمة والكبرياء متّصلة في وجودها وحياتها وعلمها وقدرتها وسمعتها وبصرها وإرادتها وحبّها وسائر صفاتها وأفعالها، بما لا يتناهى بهاءً وسناءً وجمالاً وجلالاً وكمالاً من الوجود والحياة والعلم والقدرة وغيرها من كلّ كمال^(١).

فتحصّل أنّ العلم نوعان أحدهما العلم الحسولي وهو حضور المعلوم بصورته الخارجية في الذهن، والآخر العلم الحضوري وهو حضور نفس المعلوم الخارجي لدى النفس.

مراتب العلم في القرآن الكريم

هنالك عدد من النصوص القرآنية تؤكّد أنّ العلم ذو مراتب منها: مرتبة العلم الحاصل من التقوى.

(١) الميزان في تفسير القرآن في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٧١.

وقد دلّت على ذلك عدّة من الآيات القرآنية نشير إلى بعضها:

أ - قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^(١) حيث أُنطقت الآية المباركة هذه المرتبة من العلم والبصيرة والقدرة على التمييز بين الحقّ والباطل بالتقوى، ولا ينال هذه المرتبة من العلم إلاّ المتّقون خاصّة.

ب - قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾^(٢). فالآية المباركة واضحة الدلالة على أنّ هناك نسخاً من العلم لا يمكن أن يتوفّر للإنسان إلاّ من خلال التقوى.

ج - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣) حيث أشارت الآية إلى نوع آخر من الرزق ليس من سنخ الرزق المادّي، إذ إنّ الرزق المادّي لا يتوقّف على التقوى، كما يشهد لذلك الوجدان، فقد يكون الإنسان فاسقاً فاجراً ظالماً وهو غنيّ مادياً، وقد يكون مؤمناً وهو فقير مادياً، فلا تلازم بين التقوى والغنى المادّي. إذّا الآية المباركة ترمي إلى القول بوجود ملازمة بين التقوى والغنى المعنوي، الذي من أبرز مصاديقه واحدة من مراتب العلم الحضوري، وهو العلم الحاصل من التقوى؛ لأنّ العلم الحسولي لا يتوقّف على التقوى كما هو واضح.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٤): «مما علّمناهم يبتّون»^(٥) إذّا هذه المرتبة من العلم لا تأتي إلاّ من خلال التقوى.

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) الطلاق: ٢-٣.

(٤) الحج: ٣٥.

(٥) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٧.

اليقين في النصوص القرآنية والروائية

أضاءت النصوص القرآنية والروائية، اليقين القرآني بأروع بيان، كاشفة عن خواصّه وامتيازاته بأدقّ وجه، فهناك عدد من هذه النصوص تتحدّث عن هذا الصنف من العلم، وما يمتاز به عن اليقين الاصطلاحي، ومن هذه النصوص:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِّنِينَ﴾^(١). ومن الواضح أنّ هذه الآية المباركة سجّلت خصوصية مهمّة لليقين الذي حظي به إبراهيم عليه السلام وهي أنّه يقين حصل عن طريق المشاهدة القلبية لحقائق ملكوت السموات والأرض وليس من طريق العلم الحسولي وحضور صورة المعلوم لدى الذهن.

٢- عن أبي الحسن عليه السلام: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقلّ من اليقين»^(٢).

٣- عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا محمد، الإسلام درجة. قلت: نعم. قال: والإيمان على الإسلام درجة. قلت: نعم. قال: والتقوى على الإيمان درجة. قلت: نعم. قال: واليقين على التقوى درجة. قلت: نعم. قال: فما أوتي الناس أقلّ من اليقين، وإنّما تمسّكتم بأدنى الإسلام فإياكم أن ينفلت من أيديكم»^(٣).

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٢.

ومن الواضح أنّ هذا اليقين ليس من سنخ اليقين المرتبط بالمفاهيم والعلوم الحسولية، ولذا أعرض الإمام عليه السلام عن تفسير هذا اللون من اليقين بأكثر مما بيّنه في الرواية، لأجل صعوبة استيعابه وتعسّر هضمه حتى لكبار الأجلاء كيونس بن عبد الرحمن الذي هو من خواصّ الإمام عليه السلام.

٤ - عن إسحاق بن عمار قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الناس الصبح فنظر إلى شاب من الأنصار وهو في المسجد يخفق ويهوي برأسه، مصفرّ لونه، نحيف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟ فقال: أصبحت يا رسول الله موقناً. فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال له: إنّ لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة يقينك؟ قال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربّي وقد نُصب للحساب وحُشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون فيها ويتعارفون، على الأرائك متكئين، وكأني أنظر إلى أهل النار فيها معذّبين يصطرخون، وكأني أسمع الآن زفير النار يدور في مسامعي. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نور الله قلبه للإيمان، ثم قال: الزم ما أنت عليه. فقال له الشاب: يا رسول الله ادعُ الله لي أن أرزق الشهادة معك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر»^(١).

(١) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران: ج ١، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

قال المازندراني: في تعليقه على هذه الرواية:

«ينبغي أن يعلم أنّ السالك العارف الموقن الزاهد وإن كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة بعين بصيرة لأحوال الجنّة ودرجاتها وسعاداتها وأهلها وأحوال النار ودرجاتها وشقاوتها وأهلها كالذين شاهدوا الجنّة بعين حسّهم وتنعم أهلها كالذين شاهدوا النار وعذاب أهلها، وهي مرتبة عين اليقين أو حقّ اليقين أو مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد.

والحق أنّ الجواب بمرتبة عين اليقين أنسب (فقال رسول الله صلى الله عليه وآله) بعدما سمع منه هذه الآثار والأمارات التي هي شواهد صدق على وجود حقيقة اليقين وغاية كماله فيه: (هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان) أريد بالإيمان الإيمان الكامل»^(١).

٥ - في خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة...»^(٢). وغير ذلك من الروايات التي تؤكد المضمون ذاته.

حاصل ما تقدّم أنّ ما يلحظ من التأكيد على اليقين الوارد في هذه النصوص الشريفة، ليس من سنخ اليقين الحاصل من المفاهيم الذهنية والبراهين العقلية المسمّى بالعلم الحسولي الذي يكون عرضة للشكّ والشبهات والاختلاف.

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعрани، ١٤٢١، دار

إحياء التراث العربي، بيروت: ج ٨، ص ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢١١ - ٢١٣.

الفرق بين اليقين القرآني واليقين الاصطلاحي

عند التأمل في النصوص القرآنية والروائية آفة الذكر، نجد أنها تسجل فارقاً مهماً بين اليقين القرآني واليقين الاصطلاحي. ومن هذه الفوارق:

١- إنّ اليقين الاصطلاحي يحصل من طريق المقدمات الفكرية والاستدلالات العقلية، أمّا اليقين القرآني فإنه لا يحصل إلا من خلال مشاهدة الملوك بالرؤية القلبية.

٢- إنّ اليقين القرآني سنخ يقين لا مجال فيه للغفلة عن النتائج المترتبة عليه، لأنه لو انفك عن آثاره ونتائجه يلزم أن ما فرض يقيناً ليس بيقين، كما هو واضح من سؤال النبي صلى الله عليه وآله لذلك الذي ادعى اليقين، حيث بادره صلى الله عليه وآله بالسؤال عن علامة وحقيقة ذلك اليقين بقوله: «ما حقيقة يقينك؟»، فأجاب الشاب بأن حقيقة يقينه وأثره أن نفسه عزفت عن الدنيا وأنه أحزنه وأسهر ليله وأظمأ هواجره... ولو كان ذلك اليقين ينفك عن الآثار لما سأله النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك.

نعم لليقين القرآني مراتب ودرجات كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام حينما سأله السائل: ما بال أصحاب عيسى عليه السلام كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال: «إنّ أصحاب عيسى عليه السلام كفوا المعاش، وإنّ هؤلاء ابتلوا بالمعاش»^(١)

وهكذا تتدرج مراتب اليقين، كما نلمسه واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ١٤، ص ٢٧٨.

(٢) الإسراء: ٥٥.

بَعْضُ^(١). فجميع الأنبياء وصلوا إلى مقام اليقين، لكن درجات ومراتب اليقين لديهم متفاوتة.

أما اليقين الاصطلاحي فلا ملازمة بينه وبين الآثار المترتبة عليه، وهذا ما تقرره الآية المباركة: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ^(٢)﴾. فعلى الرغم من حصولهم على مرتبة اليقين إلا أنهم جحدوا؛ مما يكشف عن عدم ملازمة مثل هذا اليقين - الاصطلاحي - للآثار.

قال المحقق الطوسي: «إن مراتب المعرفة بالله تعرف بملاحظة مراتب معرفة النار مثلاً، فإن لمعرفتها مراتب أدناها معرفة من سمع أن في الوجود شيئاً يعدم كل شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كل شيء يحاذيه، ويسمى ذلك الموجود ناراً. ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المقلّدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجة.

وأعلى منها مرتبة معرفة من وصل إليه دخان النار، وعلم أنه لا بدّ له من مؤثر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان، ونظير هذه المعرفة في معرفة الله معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع.

وأعلى منها مرتبة معرفة من أحسّ بالنار بسبب مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها، وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المؤمنين المخلصين الذين اطمأنت قلوبهم بالله، وتيقنوا أن الله نور السماوات والأرض، كما وصف به نفسه.

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) النمل: ١٤.

وأعلى منها مرتبة معرفة من احترق بالنار بكليته، وتلاشى فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى، رزقنا الله الوصول إليها، والوقوف عليها بمنه وكرمه...»^(١).

٣- إنّ اليقين القرآني لا مجال فيه للشك والريب والتزلزل، لأنّه لم يحصل من طريق الاستدلالات العقلية والفكرية وإنّما هو بالمشاهدة وحضور نفس المعلوم لدى العالم، وهذا بخلاف اليقين الاصطلاحي فإنّه بمجرد حصول خلل في بعض المقدمات يحصل شك في النتائج المترتبة على تلك المقدمات، ومما يشهد لذلك ما نلاحظه من خطأ الكثير من النظريات العلمية بسبب التصور الخاطيء لدى صاحب تلك النظرية المتأثرة بمؤثرات معينة أو نتيجة عدم رعاية شرائط الاستنتاج، بل نجد أنّ الخطأ لا يقف على تخوم التصوّرات الخاطئة وإنّما يتخطّاها إلى المحسوسات بواسطة أدوات الحسّ، من قبيل إحساس اليد الساخنة ببرودة الماء الدافئ أو رؤية السراب ماءً ونحوها مما يسمّى بخداع الحواسّ.

رؤية الملكوت منشأ اليقين القرآني

هنالك عدد من النصوص القرآنية تلتقي في التركيز على أنّ الطريق والسبيل الوحيد لتحقيق اليقين القرآني هو المشاهدة القلبية للملكوت وباطن الأشياء، ومن أهمّ هذه النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٢) حيث ربطت

(١) نقلاً عن اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري، تحقيق هاشم الأنصاري، ١٤١٨هـ، مؤسسة

الهادي، قم: ص ٤٤٢.

(٢) الأنعام: ٧٥.

الآية بين رؤية الملكوت وحصول اليقين.

فالبلوغ والوصول إلى مقام اليقين القرآني لا يمكن أن يتحقق إلاّ بالمشاهدة القلبية للملكوت ووقوف الإنسان على حقائق الأشياء؛ ولذا نجد أنّ إبراهيم عليه السلام حين فرغ من بناء البيت الحرام دعا ربّه بقوله ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾^(١) حيث طلب من ربّه رؤية المناسك ومشاهدتها قلباً.

إذاً هنالك تلازم بين رؤية الملكوت وبين حصول اليقين القرآني، فمن لامس وشاهد ملكوت الأشياء فقد وصل إلى مقام اليقين.

أدوات رؤية الملكوت

من المعلوم أنّ الله تعالى زوّد الإنسان بأدوات وحواسّ يمكنه من خلالها رؤية الأشياء الظاهرة، كالعين الجارحة والأذن والسمع والشمّ يمكن من خلالها التمييز بين ظاهر الأمور المادّية.

أمّا باطن وملكوت الأشياء فهي خارجة عن دائرة وقدرة الأدوات والحواسّ الظاهرة إذ لا يمكن بهذه الحواسّ الظاهرة الاطلاع على ملكوت وباطن الأشياء. وهذه الحقيقة سجّلتها جملة وافرة من روايات أهل البيت عليهم السلام.

ولعلّ أوضح الروايات في المقام ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخبر الطويل في المعراج عن أبي عبد الله عليه السلام (إلى أن قال:): «فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيّب ولحم خبيث وهم يأكلون الخبيث ويدعون الطيّب، فسألت جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال من أمتك. قال: ثمّ مررت بأقوام لهم مشافر كمشافر الإبل،

(١) البقرة: ١٢٨.

يقرض اللحم من أجسامهم ويلقى في أفواههم، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هم الهمازون اللمازون، ثم مررت بأقوام ترضخ وجوههم ورؤوسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: الذين يتركون صلاة العشاء، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يُقذف بالنار في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنّما يأكلون في بطونهم ناراً، وسيصلون سعيراً، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه! فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: فهم الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وإنهم لبسبيل آل فرعون، يُعرضون على النار غدواً وعشيا، يقولون: ربنا متى تقوم الساعة؟ ولا يعلمون أن الساعة أدهى وأمر، ثم مررت بنساء معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هن اللواتي يورثن أموال أزواجهن...»^(١) ونحوها من الروايات لاسيما تلك الروايات الواردة في باب معراج الرسول الأكرم الذي رأى فيه صلى الله عليه وآله بواطن وحقائق الأشياء.

ومن الواضح بالوجدان أن حواس الإنسان الظاهرية لا يمكنها رؤية باطن الأشياء وحقيقتها؛ إذاً فما هي أدوات رؤية ملكوت وباطن الأشياء؟
الجواب: إن الله تعالى كما أعطى للإنسان هذه الحواس الظاهرة من العينين والأذنين... كذلك زوّده تعالى بأدوات باطنة لرؤية باطن وحقيقة الأشياء فأعطاه تعالى عينين باطنيتين لرؤية باطن الأشياء وأعطاه قوة يسمع بها باطن الأشياء وقوة شم وهكذا.

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦، ص ٢٣٩.

الوجدان خير شاهد على وجود أدوات الرؤية الباطنية

وهذه الحقيقة نلمسها بالوجدان، فالإنسان في حالة نومه يرى أشياء ويسمع ويشم ويأكل ويضحك، كل ذلك مع كون الحواس الظاهرة نائمة، وهذا خير شاهد على أن للنفس قوى وحواس باطنة بها ترى وتسمع باطن الأشياء، وقد أشار إلى هذه الحقيقة جملة من العلماء والباحثين وقد دلت عدة من النصوص القرآنية والروائية على هذه الحقيقة. وهي وافرة ومتعددة لا يسع المقام لذكرها جميعاً؛ لذا نقتصر على بعض منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَآلُ نَعَمٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ^(١)﴾

فالآية المباركة وصفت أولئك الذين أعرضوا عن ذكر الله تعالى بأنهم لهم آذان وعيون لكن لا يسمعون بها، على الرغم من وجود الأعين والآذان الظاهرية التي يسمعون بها، وهذا يكشف عن وجود أدوات وحواس باطنية للإنسان، ولذا عقب الآية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ^(٢)﴾ فقد نسبت العمى إلى القلب مما يعني اشتغال القلوب على أعين باطنية وإذا عميت هذه الأعين الباطنية سوف يحجب الإنسان عن رؤية الحقيقة.

إنَّ للقلب استعمالات متعددة، فتارة يطلق القلب ويراد منه القلب الصنوبري وهو مضخة الدم.

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) الحج: ٤٦.

وتارة أخرى يطلق القلب ويراد منه مركز العقل والتفكير كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(١) وجاء في تفسير هذه الآية عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «القلب في هذه الآية بأنه العقل»^(٢).

وتارة يطلق القلب ويراد به مركز المعارف غير الحسية وغير العقلية كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٣) فالقرآن الكريم نزل على قلب النبي صلى الله عليه وآله لا بقوة العقل والاستدلال العقلي، وإنما حصلت المعارف القرآنية للنبي صلى الله عليه وآله بمشاهدته القلبية لتلك الحقائق، وهذا المعنى من القلب هو حقيقة الإنسان وروحه وهو الذي يرى الحقائق الباطنية الملكوية.

إذاً المراد من القلب الذي له أدوات الرؤية والسمع، ليس القلب الصنوبري ولا مركز التعقل، وإنما هو حقيقة الإنسان وجوهره.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(٤). وهذه الآية واضحة الدلالة في نسبة الذكر إلى القلب لا إلى العين الظاهرية؛ لأنّ الذكر والغفلة ليس من وظائف هذه العين الظاهرية، وإنما وظيفتها الرؤية البصرية.

على هذا فالآية تشير إلى أنّ القلب الذاكر هو القلب البصير، أمّا القلب الغافل فهو قلب أعمى.

(١) ق: ٣٧.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ١٦.

(٣) الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤.

(٤) طه: ١٢٤.

ومما يشهد لذلك قوله تعالى يحكي قول أهل النار: ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(١). فلو كان المراد بالعمى هو عمى العين الظاهرية لكان من المناسب أن يكون التعبير في الجواب: «أنتك آياتنا ولم ترها» وليس التعبير بـ«أنتك آياتنا فنسينها»؛ لأن النسيان ليس من وظيفة العين الظاهرية. لذا في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام حين سأل المأمون عن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٢) أنه قال عليه السلام: «إن غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يرى بالعيون، ولكن الله عز وجل شبه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنهم كانوا يستثقلون قول النبي صلى الله عليه وآله فيه ولا يستطيعون سمعاً. فقال المأمون: فرجت عني فرج الله عنك»^(٣).

إذاً فالآية تدل بوضوح على وجود حواس باطنية لرؤية ملكوت الأشياء.

إذاً هناك رؤية أخرى غير الرؤية المادية التي يشترك فيها جميع البشر بما فيهم الكافر والفاسق، وتلك الرؤية هي الميزان الحقيقي لتمييز الناس، ولذا نجد أن الله تعالى يمدح إبراهيم وذريته الذين اصطفاهم؛ لحيازتهم هذه الرؤية الباطنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾^(٤).

(١) طه: ١٢٥.

(٢) مريم: ١٠١.

(٣) التوحيد، الصدوق، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، جامعة المدرسين قم: ص ٥٣٥.

(٤) ص: ٤٥.

وهذا المعنى يلتقي مع ما ذهب إليه اللغويون من إطلاق البصر على الرؤية الظاهرية، التي تختلف عن البصيرة التي تطلق على الرؤية القلبية.

قال الراغب: «البصر يقال للجراحة الباصرة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّمَحَ الْبَصَرِ﴾، و﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ والقوة التي فيها»^(١).

ولهذا نجد بعض الناس مع فقدته للعين الظاهرية، إلا أنه على الرغم من ذلك فقد يكون ذا بصيرة، بل لعل بعض الفاقدين للبصر الظاهري أكثر وعياً وبصيرة لمن عنده قوة بصر ونظر مادي.

قال الطباطبائي: الرؤية الباطنية «هي نوع شعور في الإنسان يشعر بالشيء بنفسه من غير استعمال آله حسية أو فكرية، وإن للإنسان شعوراً بربه غير ما يعتقد بوجوده من طريق الفكر واستخدام الدليل بل يجده وجداناً من غير أن يحجبه عنه حاجب ولا يجره إلى الغفلة عنه إلا اشتغاله بنفسه وبمعاصيه التي اكتسبها، وهي مع ذلك غفلة عن أمر موجود مشهود لا زوال علم بالكلية ومن أصله..»^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا لَيْتُمْ أَآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

الآية صريحة في أن الختم على السمع والبصر الباطني لا الظاهري لأن الحواس الظاهرية من البصر والسمع لا توجد فيها غشاوة وختم.

(١) المفردات، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٢٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٨، ص ٢٤٠.

(٣) البقرة: ٧-٨.

وهذا يدلّ على وجود أدوات رؤية وسمع باطني غير الأدوات الظاهرة.

٤- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) حيث تشير الآية إلى وجود نوعين من النور.

النوع الأول: النور الظاهري المادّي الذي بواسطته يمكن من خلاله رؤية الأشياء المادّية.

النوع الثاني: النور الباطني الذي يكون سبباً لإخراج الإنسان من الظلمات.

على هذا فالآية ترمي إلى القول بأنّ الإنسان الكافر يعيش في ظلمات لكن ليس الظلمات المادّية الظاهرية، لأنّ الكافر في هذه الدنيا يستفيد ويتنفع من هذه الأنوار المادّية كما هو واضح.

إذاً المراد بالظلمات التي يعيش فيها الإنسان الكافر هي ظلمات الباطن، أمّا الإنسان المؤمن الذي فتح الله بصيرته وقلبه، فهو يتمتع بالنور الباطني المعنوي، وهي الحياة التي يريدّها القرآن الكريم للإنسان في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢) أي الحياة المعنوية الباطنية لا الحياة الحيوانية التي يشترك

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) الأنفال: ٢٤.

فيها مع الأنعام.

وعلى هذا فقد يكون الإنسان حيًّا بالحياة الحيوانية إلاّ أنّه ميّت من جهة الحياة المعنوية الباطنية، وهذا ما يسجّله أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وآخر قد تسمّى عالماً وليس به. فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلّال. ونصب للناس شركاً من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه... فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه. فذلك ميّت الأحياء»^(١).

وغير ذلك من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

ونحوها من الآيات التي تؤكد حقيقة أنّه كما يوجد للإنسان بصر وسمع وشمّ ظاهري كذلك توجد عند الإنسان بصر وسمع وشمّ باطني.

أدوات الرؤية الباطنية في النصوص الروائية

في ما يلي نمّر على إضمامة من الروايات التي أثبتت بصراحة وجود أدوات وحواسّ باطنية للإنسان لرؤية ملكوت وباطن الأشياء:

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من قلب إلاّ وله أذنان، على إحداهما

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١، ص ١٥٣.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) الرعد: ١٩.

(٤) هود: ٢٤.

ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها، وهو قول الله عز وجل: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقَّانِ عَنْ يَمِينٍ وَعَنْ شِمَالٍ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١).

٢- عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس الخناس، وأذن ينفث...»^(٢)

٣- عن علي بن الحسين عليهما السلام قال في حديث طويل: «ألا إن للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه»^(٣).

٤- عن إسحاق بن عمار قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا إسحاق خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك»^(٤).

قال المجلسي في توضيح الحديث: «اعلم أن الرؤية تطلق على الرؤية بالبصر وعلى الرؤية القلبية وهي كناية عن غاية الانكشاف والظهور، والمعنى الأول هنا أنسب، أي خف الله خوف من يشاهده بعينه وإن كان محالاً، ويحتمل الثاني أيضاً فإن المخاطب لما لم يكن من أهل الرؤية القلبية ولم

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٦٧.

(٣) الخصال: مصدر سابق: ص ٢٤٠.

(٤) الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٧.

يرتق إلى تلك الدرجة العلية، فإنها مخصوصة بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام قال له: كأنك تراه، وهذه مرتبة عين اليقين وأعلى مراتب السالكين»^(١).

٥- عن ثابت بن دينار قال: «سألت زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى عن ذلك. قلت: فلما أسرى بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه. قلت: فقول الله عزّ وجلّ ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَلَى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾؟ قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات ثم تدلّى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى»^(٢).

وغير ذلك من الروايات المتضافرة التي تؤكد هذه الحقيقة التي انتهينا إليها في البحث القرآني وهي امتلاك الإنسان لأدوات وحواسّ باطنية لرؤية باطن وملكوت الأشياء.

المقدمة الرابعة: شرائط رؤية الملكوت

أشار القرآن الكريم إلى عدد من الشرائط والموانع لرؤية الملكوت. فمن الشرائط: الطهارة والتقوى، وأما الموانع فمن قبيل: الظلم والفسق والكفر ونحوها. إلّا أننا سوف نقتصر الكلام في هذه الشرائط بالقدر الذي يلامس بحثنا، وما نتوخّاه من هذه المقدمة هو شرطية الطهارة في رؤية الملكوت، وأنّ المتطهر هو الذي يمكنه مشاهدة باطن وملكوت الأشياء، أمّا بقية

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٧، ص ٣٥٦.

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف: ج ١، ص ١٣١.

الشرائط والموانع فترجئها إلى موضع آخر.

وقبل الولوج في الاستدلال على شرطية الطهارة لرؤية الملكوت ينبغي أن نمكث قليلاً لمعرفة ما هو المراد من الطهارة المقصودة والتي تكون شرطاً لرؤية الملكوت.

المراد من الطهارة

لقد بين القرآن الكريم معنى الطهارة بشكل واضح، منطلقاً من خلال مقابلتها للرجس كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١) وفي الوقت ذاته سلط القرآن الكريم الضوء على معنى الرجس ومراتبه الشاملة للرجس المادي والمعنوي، وعلى هذا الأساس فإن المقصود من الطهارة التي تكون شرطاً لرؤية الملكوت هي الطهارة الشاملة للطهارة المادية والمعنوية.

ولكي يتضح المطلوب سوف نلج في البحث عن معنى الرجس لغة ومراتبه في القرآن الكريم.

قال الراغب: «الرجس بالكسر: القذر - ويحرك وتفتح الراء وتكسر الجيم - والمأثم وكل ما استقذر من العمل، والعمل المؤدي إلى العذاب والشك والعقاب والغضب...»^(٢) ونفس المضمون في لسان العرب^(٣) والقاموس المحيط^(٤).

وقال الطباطبائي: «الرجس: الشيء القذر - على ما ذكره الراغب في

(١) الأحزاب ٣٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق: ص ٢٤.

(٣) لسان العرب، مصدر سابق: مادة رجس.

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣١٨.

مفرداته - فالرجاسة بالفتح كالنجاسة، والقذارة هو الوصف الذي يبتعد وينتزه عن الشيء بسببه، لتنفّر الطبع عنه»^(١).

وقال الفخر الرازي: «الرجس عبارة عن المفاصد المستقدرة المستكرهة»^(٢).

وقال الألوسي: «الرجس في الأصل: الشيء القذر... وقيل يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص، والمراد هنا ما يعم ذلك»^(٣).

ومن جميع ما تقدّم يتّضح أنّ الرجس لا ينحصر في الأمور المادية، وإنّما يشمل جميع الأمور المادية والمعنوية كالأعمال والسلوك والأخلاق والملكات والعقائد الباطلة.

مراتب الرجس في القرآن الكريم

هنالك عدد من النصوص القرآنية كشفت النقاب عن الرجس ومراتبه المتعدّدة وانقسام المرتبة المعنوية منه إلى مراتب. فعن المرتبة المادية من الرجس قال تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ مِثَّةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾^(٤). فالآية واضحة الدلالة في الإشارة إلى المرتبة المادية من الرجس. أمّا المراتب المعنوية من الرجس فمنها:

١. الضلال؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٢٠.

(٢) التفسير الكبير، مصدر سابق: ص ١٨٨.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج ٢٢ ص ١٢.

(٤) الأنعام: ١٤٥.

يُؤْمِنُونَ^(١). فالآية المباركة تشير بوضوح إلى المرتبة الباطنية من الرجس لأن الضلال من الأمور الباطنية.

٢. عبادة الأوثان؛ قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٢).

٣. النفاق؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٣).

٤. الريب والشك المؤدي إلى الضلال؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٤).

٥. نفس المنافق؛ قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾^(٥).

وغير ذلك من النصوص القرآنية التي تشاركها في المضمون ذاته والتي تؤكد أن الرجس شامل للأمور المادية والمعنوية من الملكات والاعتقادات الباطلة والأخلاق ونحوها والتي هي على مراتب أيضاً.

مراتب الطهارة في القرآن الكريم

بعد هذه الجولة السريعة التي استعرضنا فيها مراتب الرجس من خلال النصوص القرآنية، نعطف الكلام للوقوف على مراتب الطهارة وحقيقتها من خلال مقابلتها للرجس. وعلى هذا نجد أن مراتب الطهارة هي نفسها مراتب الرجس بحكم قانون المقابلة والصدية، فتتعلق الطهارة أيضاً

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) التوبة: ١٢٥.

(٤) يونس: ١٠٠.

(٥) التوبة: ٩٥.

بالأمور المادية والمعنوية من الملكات والمعتقدات والأخلاق والأعمال ونحوها، وأشارت إلى ذلك عدد من النصوص القرآنية:

١- قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾^(١). ومن الواضح أن المراد بالطهارة من خلال المسح بالتراب هي الطهارة المعنوية، لأن الطهارة الظاهرية لا تتحقق بالمسح بالتراب.

٢- قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾^(٢) وهي مرتبة من الطهارة المعنوية، لأن التعلق بالأموال والانجذاب إليها رجس، فتكون الصدقة سبباً لطهارة القلب من التعلق بالأموال، الذي هو من مراتب الرجس، لذا قال تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾^(٣) وغير ذلك من الآيات التي تشاركها في بيان مراتب الطهارة.

الطهارة القلبية أعلى مراتب الطهارة

المقصود من الطهارة القلبية، هو طهارة القلب من التوجه عن كل ما سوى الله تعالى، وقد وصف الله تعالى قلب إبراهيم عليه السلام بهذه المرتبة من الطهارة حيث قال: ﴿وَإِنِّ مِنْ شَيْعِنِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٤). والقلب السليم هو القلب السالم من جميع آفات القلوب^(٥).

(١) المائدة: ٦.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) المجادلة: ١٢.

(٤) الصافات: ٨٣-٨٤.

(٥) انظر الكشف، مصدر سابق: ج ٣ ص ٣٢٠.

قال الفخر الرازي في تفسير القلب السليم: «أما السليم ففيه ثلاثة أوجه: الأوّل، وهو الأصحّ: أنّ المراد منه سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة، وذلك لأنّه كما أنّ صحّة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال، ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور، فكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل، ومرضه عبارة عن زوال أحدهما. فقلوه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أن يكون خالياً من العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها.

فإن قيل: فظاهر هذه الآية يقتضي أنّ من سلم قلبه كان ناجياً، وأنّه لا حاجة فيه إلى سلامة اللسان واليد.

فجوابه: إنّ القلب مؤثّر واللسان والجوارح تبع، فلو كان القلب سليماً لكانا سليمين لا محالة، وحيث لم يسلم ثبت عدم سلامة القلب»^(١).

فالقلب السليم هو القلب الطاهر الذي أخلص الله تعالى وانقاد له تمام الانقياد والتسليم.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال: «السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه»^(٢).

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾^(٣) إلى هذه المرتبة من الطهارة القلبية التي تعني التحرّر

(١) التفسير الكبير، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٥١.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٥.

(٣) الإنسان: ٢١.

من كلّ ما سوى الله تعالى؛ قال: «شرباً يشربه أهل الجنة فيطهّروهم عن كلّ ما سوى الله»^(١).

وهذه المرتبة من الطهارة القلبية تنطبق على الصنف الثالث من الناس الذين يعبدون الله تعالى لا خوفاً ولا طمعاً وإنّما لأجل كونه أهلاً للعبادة كما في الحديث المشهور عن أمير المؤمنين عليه السلام «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»^(٢).

قال الطباطبائي: «إنّ المطهّرين من عباد الله هم يمسون القرآن الكريم الذي في الكتاب المكنون والمحفوظ من التغيّر، ومن التغيّر تصرّف الأذهان بالورود عليه والصدور منه، وليس هذا المسّ إلّا نيل الفهم والعلم. ومن المعلوم أيضاً أنّ الكتاب المكنون هذا هو أمّ الكتاب المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وهو المذكور في قوله ﴿وَلِئِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾. وهؤلاء قوم نزلت الطهارة في قلوبهم وليس ينزلها إلّا الله سبحانه، فإنّه تعالى لم يذكرها إلّا كذلك، أي منسوبة إلى نفسه كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾. وما في القرآن شيء من الطهارة المعنوية إلّا منسوبة إلى الله أو بإذنه، وليست الطهارة إلّا زوال الرجس من القلب، وليس القلب من الإنسان إلّا ما يدرك به ويريد به. فطهارة القلب طهارة نفس الإنسان في اعتقادها وإرادتها، وزوال الرجس عن هاتين الجهتين، ويرجع إلى ثبات القلب في ما

(١) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج ٥ ص ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٧، ص ١٨٦.

اعتقده من المعارف الحقّة من غير ميلان إلى الشكّ ونوسان بين الحقّ والباطل، وثباته على لوازم ما علمه من الحقّ من غير تمايل إلى اتباع الهوى ونقض ميثاق العلم^(١).

الاستدلال على أنّ الطهارة القلبية شرط في رؤية الملكوت

بعد الوقوف على معنى الطهارة وأنها ممتدة لتشمل ضروب الطهارة المادّية والمعنوية والقلبية، نتساءل عن الدليل الذي يشترط تحقّق الطهارة القلبية برؤية الملكوت وباطن الأشياء.

لعلّ أوضح الأدلّة التي تحتشد فيها الدلالة على شرطية الطهارة في الرؤية والمشاهدة القلبية لملكوت وباطن الأشياء هو قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢).

تقريب الاستدلال: إنّ معنى الكتاب المكنون والمحفوظ الذي هو باطن وملكوت القرآن الكريم، وهو تبيان لكلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣): أنّ من خصائص هذا الكتاب أنّه لا يمكن أن يُنال ويُتوصّل إليه من خلال العقل والفكر والمفاهيم وإنّما تنحصر المعرفة به من خلال المشاهدة القلبية.

أمّا قوله لا يمسه: ففيه احتمالان:

الأوّل: أن يرجع الضمير في (لا يمسه) إلى القرآن.

الثاني: عود الضمير إلى الكتاب المكنون.

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٣، ص ٥٤.

(٢) الواقعة: ٧٨-٧٩.

(٣) يس: ١٢.

وبناءً على قواعد اللغة العربية ينبغي عود الضمير إلى أقرب المراجع إلا إذا دلت قرينة على خلاف ذلك أو وجد مانع عقلي يمنع من إرجاع الضمير إلى الأقرب. وفي هذا الضوء وبمقتضى هذه القاعدة اللغوية لا بد أن يرجع الضمير في (لا يمسه) إلى الكتاب المكنون.

أمّا معنى المسّ فهو العلم به.

وعلى هذا فتدل الآية على أنّ الكتاب المكنون لا يعلمه أحد إلا المطهرون، أي لا يعلمه علماً حضورياً إلا المطهرون، ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا أنّ السبب في تعبير القرآن (لا يمسه) بدلاً من التعبير بـ(لا يعلمه) لأجل أن لا ينصرف الذهن إلى العلم المتعارف الذي ينسجم مع قوانين المفاهيم والألفاظ. وقد تقدّم الكلام في حقيقة اليقين القرآني وأنه عملية مسّ ومشاهدة للحقائق، كالذي يقع في النار ويحترق فيها، فعلمه بالنار من خلال مسّه لحقيقة النار.

ومن هنا لا يكون مفاد «لا» في لا يمسه النهي عن مسّ الكتاب إلا عن طهارة؛ لأنه يلزم أن تكون الطهارة منحصرة بالطهارة المادية فقط؛ بمعنى أنّ الإنسان غير المتطهر مادياً لا يجوز له مسّ القرآن، وهذا المعنى لا يتلاءم مع إطلاق الطهارة الشاملة لجميع مراتبها المادية والمعنوية بما فيها الطهارة القلبية. وعلى هذا يكون مفاد «لا»: النفي أي أنّها نافية، وليست ناهية، ومن ثم تكون الآية في صدد الإخبار عن هذه الحقيقة، وهي أنّ الذي يقف ويشاهد ملكوت وباطن الأشياء بالمشاهدة القلبية هم المطهرون فقط، الواجدون لجميع مراتب الطهارة، وهم أصحاب القلب السليم من التعلّق عمّا سوى الله تعالى.

إذا الآية صريحة في أنّ الذي يشاهد حقيقة الملكوت هو الإنسان المطهّر بالطهارة القلبية فقط.

وبهذا يتّضح أنّ الطهارة القلبية شرط في تحقّق رؤية باطن وملكوت الأشياء. وهذه الحقيقة يقرّها صدر الدين الشيرازي بقوله: «وللقرآن في كلّ مرتبه ومقام حملة يحفظونه ويكتبونه ولا يمسونه إلّا بشرط طهارتهم عن حدثهم أو عن حدوثهم، ونزاهتهم وانسلاخهم عن مكانهم أو عن إمكانهم، والقشر من الإنسان لا يدرك إلّا القشور من القرآن، والإنسان القشري من الظاهرية لا يدرك إلّا المفهومات القشرية والنكات البيانية والأحكام العملية والسياسات الشرعية، وأمّا روح القرآن وسرّه ولبّه فلا يدركه إلّا أولو الألباب وذوو البصائر؛ إذ حقيقة الحكمة لا تنال إلّا بموهبة الله، ولا يبلغ الإنسان إلى مرتبة يسمّى حكيمًا إلّا بأن يفيض الله عليه من حكمته حكمة ومن لدنه علمًا؛ لأنّ العلم والحكمة من صفاته الكمالية، والعليم الحكيم من أسماء الله الحسنى، ولا بدّ في من له نصيب منهما أن يكون ذلك بمجرّد موهبة الله إياه له؛ ولذلك قال سبحانه بعد قوله ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وسمّى الحكمة خيرًا كثيرًا وقال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وهذا المعنى ما تحدّث به القرآن صراحة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢) فالآية المباركة حصرت

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مصدر سابق: ج ٣ ص ٣٩.

(٢) الواقعة: ٧٧ - ٧٩.

مسّ الكتاب المكنون بالمطهرين خاصّة.

النتيجة: المقربون لهم ولاية التصرف في التكوين

من رأى الملكوت ووصل إلى اليقين، له القدرة على التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة؛ لأنّ الإنسان كلّما يكون أقرب إلى الله تعالى سوف يكون أكثر علماً وأكثر قدرة، ومن ثمّ يكون أثره في التصرف بالموجودات أوسع وأكثر. فإذا وصل إلى مقام اليقين أقرب إلى الله تعالى فيكون له القدرة على التصرف بالتكوين بشكل خارق للعادة.

ومما يعضد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) الذي يدلّ على أنّ مصدر هذا الأثر والقدرة على التصرف في التكوين هو مقام من بيده ملكوت السماوات، فكل من وصل إلى هذا المقام يستطيع التصرف في التكوين، بإذنه تعالى، ويقول للشيء كن فيكون.

الشواهد على أنّ المقربين لهم الولاية في التصرف في التكوين

هنالك عدّة شواهد تساق لبيان أنّ المقربين لهم القدرة على التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة.

الشاهد الأوّل: الشاهد القرآني: قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢).

ومحلّ الشاهد في الآية المباركة قوله (الملائكة المقربون) الذي يكشف لنا أنّ وصف «المقربون» اختصّ به قسم من الملائكة، وحيث إنّ الملائكة

(١) يس: ٨٢.

(٢) النساء: ١٧٢.

المقربين قد أوكلت لهم مهام التصرف في نظام الوجود، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾^(١)، فهذا يكشف عن أن منشأ ولايتهم في التصرف في نظام الكون هو كونهم من المقربين؛ وفي هذا الضوء تبين أن الإنسان إذا دخل في دائرة المقربين يكون له دور في نظام التكوين والتصرف في نظام الوجود.

الشاهد الثاني: المقربون مؤيدون بروح القدس: أشارت جملة من الروايات إلى أن المقربين مؤيدون بروح القدس، ومن خلالها يتمكنون من التصرف بالتكوين بشكل خارق للعادة، ومن هذه الروايات:

١ - عن جابر الجعفي قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّيِّقُونَ وَالسَّيِّقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهاوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيئون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهاوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيئون»^(٢).

٢ - عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «بروح القدس علموا ما دون

(١) النزاعات: ٥.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

العرش إلى ما تحت الثرى، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها. قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم وما دون العرش»^(١) وهي واضحة الدلالة على أنّ روح القدس الذي يعطيهم العلم أو الذي يأخذون العلم بواسطته أقدرهم على التصرف التكويني بما في المشرق والمغرب إلى ما دون العرش.

ومما يؤيد ذلك ما ورد قتادة عن الحسن قال حول ذي القرنين في قوله تعالى ﴿وَأَيُّنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قال: «أي علماً أن يطلب أسباب المنازل»^(٢).

وسياًتي أنّ ذي القرنين أعطاه الله تعالى الولاية التكوينية فبلغ المشرق والمغرب وسخر الله له السحاب، وما ذلك إلا بالعلم الخاص الذي أعطاه الله إيّاه كما ورد عن الإمام الصادق قوله: «بلغ ما بلغه ذو القرنين وجازه أضعافاً مضاعفة فشاهد كلّ مؤمن ومؤمنة»^(٣).

قال الحكيم السبزواري: «والإرادة في إرادته الثابتة وقوّتها أن يكون الروح القدسي بحيث كلّ ما تعلق تصوّره به وقع بمجرد تصوّره، وتطعيه مادّة الكائنات فيتصرّف فيها كتصرّفه في بدنه»^(٤).

٣ - ما رواه داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنّ عيسى بن مريم كان من شرايعه المسيح في البلاد،

(١) المصدر نفسه: ص ٤٧١.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٩٨٨ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان: ج ٢، ص ١٢٦.

(٣) الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي، الطبعة: الرابعة سنة ١٤١١ - ١٩٩١ م، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان: ص ٢٧٠.

(٤) شرح الأسماء الحسنی، الملا هادی السبزواری، منشورات مكتبة بصيرتي، قم - إيران: ج ٢، ص ٣٨.

فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام: جازه بسم الله بصحة يقين منه، فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ؟ قال: فرمس في الماء، فاستغاث بعيسى، فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء، فدخلني من ذلك عجب. فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت، فثب إلى الله عز وجل مما قلت. قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً^(١).

وقال الطباطبائي في معرض تعليقه على الرواية: «الحديث - كما ترى - يومئ إلى أن الأمر يدور مدار اليقين بالله سبحانه وإحماء الأسباب الكونية عن الاستقلال في التأثير، فإلى أي مبلغ بلغ ركون الإنسان إلى القدرة المطلقة الإلهية انقادت له الأشياء على قدره، فافهم ذلك. ومن أجمع القول في هذا الشأن قول الصادق عليه السلام: «ما ضعف بدن عما قويت عليه النية»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث المتواتر: «إنما الأعمال بالنيات»^(٢).

قال الحافظ رجب البرسي في «مشارق أنوار اليقين»: «الولاية التكوينية قدرة يمنحها الله لخاصة أوليائه الذين يتقربون من الله تعالى تقرباً يصح

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٢٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٨٧.

سبحانه وتعالى سمعهم وأبصارهم وأيديهم، كما في حديث التقرب بالنوافل المستفيض: لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، فبي يسمع، وببي يبصر، وببي ينطق، وببي يبطش، وببي يمشي»^(١).

وقال الخواجة نصير الدين الطوسي: «العارف إذا انقطع عن نفسه واتّصل بالحق رأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات، وكلّ علم مستغرق في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكلّ إرادة مستغرقة في إرادته التي يمتنع أن يتأتى عليها شيء من الممكنات، بل كلّ وجود فهو صادر عنه فائض عن لدنه، فصار الحقّ حينئذ بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها يفعل وعلمه الذي به يعلم ووجوده الذي به يوجد، فصار العارف حينئذ متخلّقاً بأخلاق الله في الحقيقة»^(٢).

وقال الشيخ حسن زاده آملي: «إنّ هذا الشخص، ولأنّ الحقّ يكون عينه التي يرى وأذنه التي بها يسمع، وعين جوارحه وقواه الروحية والجسمية، فإنّ تصرّفه الفعلي أيضاً يكون كالحدس والجذبة الروحية، حتى يصير قوله وفعله واحداً، ولا يحتاج إلى الامتداد الزماني في حركاته وانتقالاته، بل يصير محلاً لمشیئة الله ومظهراً لـ «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ

(١) مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي، تحقيق: السيد علي عاشور، ١٤١٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان: ص ٢٢٥.

(٢) نقلاً عن شرح الأسماء الحسنی للملا هادی السبزواری، منشورات مكتبة بصيرتي، قم - إيران ج ٢ ص ١١٢.

أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١﴾ حيث يتّحد عندها القول والفعل ﴿١﴾.

وبهذا يتّضح أنّ مقام القرب الإلهي موجب للتصرّف التكويني، فيتّضح إمكانية إعطاء الله تعالى الولاية التكوينية لكلّ من وصل إلى ذلك المقام، ولا يلزم من إعطاء الله تعالى الولاية التكوينية لأحد من مخلوقاته أيّ محذور.

معنى القرب الإلهي

تقدّم أنّ المقصود بالقرب من الله تعالى هو القرب المعنوي - لا القرب المادّي - وهو التخلّق بأخلاق الله تعالى والسير على هدايته، وهو يرجع إلى العبودية والانقياد والتسليم لله تعالى، كما في قوله تعالى على لسان إبراهيم على ما يحكيه القرآن الكريم بقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ ^(٢) وهو بمعنى الانقياد والتسليم لله تعالى وهو العبودية له سبحانه.

إذاً فالمقربون وصلوا إلى أعلى درجات السير إلى الله تعالى، فهم النمط الأعلى من أهل السعادة كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ^(٣). وبهذا يتّضح أنّ المقربين هم المخلصين الذين أخلصوا لله في العبودية والانقياد والتسليم له تعالى.

المقربون هم المخلصون

لكي يتّضح أنّ المقربين هم المخلصون لابدّ من بيان معنى الإخلاص والفرق بين المخلص (بالكسر) والمخلص (بالفتح). قال الراغب في مفرداته «الخالص كالصافي إلّا أنّ الخالص هو ما زال

(١) نقلاً عن مشارق أنوار اليقين، مصدر سابق: ص ٢٢٥.

(٢) البقرة: ١٢٨.

(٣) الواقعة: ١٠ - ١١.

عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه...»^(١).
بمعنى: أن الإخلاص هو الصفاء من كل شوب، وهو يلتقي مع
الطهارة في مرتبتها العليا، وهي الطهارة القلبية؛ لأن الإنسان المتطهر هو
الإنسان الذي يكون مخلصاً في أعماله وسلوكه وأخلاقه وعقائده وكل ما في
قلبه لله تعالى، فيكون صافياً وخالصاً من غير شوب.

ولهذا نجد تأكيد القرآن الكريم للطهارة بنفس الدرجة من تأكيده
الإخلاص، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ
اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾^(٢) حيث أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله في الآية
المباركة أن يكون مخلصاً للدين الشامل لكل المعارف الدينية من الاعتقادات
والأخلاق فضلاً عن بيان أحكام الدين.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ
الدِّينَ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَلَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾^(٤).
وهذا معناه أن الإخلاص في الدين إنما يتم على الحقيقة إذا لم يتعلق
قلب الإنسان الذي لا يريد شيئاً ولا يقصد أمراً إلا عن حب نفسي وتعلق
قلبي بغيره تعالى من معبود أو مطلوب كصنم أو نداء أو غاية دنيوية، بل ولا
مطلوب أخروي كفوز بالجنة أو خلاص من النار، وإنما يكون متعلق قلبه
هو الله تعالى في معبوديته، فالإخلاص لله في دينه إنما يكون بحبه تعالى.
إذاً فالإخلاص مرجعه إلى الطهارة، والطهارة ترجع إلى الإخلاص.

(١) المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق: ص ١٥٤.

(٢) الزمر: ٢.

(٣) الزمر: ١١.

(٤) البقرة: ١٣٩.

الحب طريق الإخلاص

لقد أشارت النصوص القرآنية والروائية بشكل واضح إلى أن الطريق والسبيل لتحقيق الإخلاص هو الحب والتعلق به تعالى وحده.

من النصوص القرآنية التي كشفت عن طريق تحقق الإخلاص قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾^(٢).

بيان ذلك: إن الله تعالى دعا الناس إلى عبادته كما هو واضح في الآيتين أنفتي الذكر ونحوهما من الآيات التي تدعو الناس إلى عبادة الله تعالى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى: إن الله تعالى أمر أن تكون العبادة الخالصة له سبحانه وحده، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٤) وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٥) وغير ذلك من الآيات التي تدعو المؤمن أن يعبد الله تعالى بإخلاص.

ومن الواضح أن الإخلاص لله تعالى لا يتحقق إلا إذا تعلق قلب الإنسان بالله وحده، فلا يتحقق الإخلاص لله إلا إذا كانت العبادة لله وحده وليست لأجل غاية دنيوية أو أخروية كالفوز بالجنة أو الخلاص من النار.

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) البينة: ٥.

(٤) المؤمن: ١٤.

(٥) الزمر: ٣.

فأساس شريعة الإسلام والإخلاص لله هو الحب لله كما في قوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١) أي إن كان هدفكم هو عبادة الله تعالى فلا بد من الإخلاص له، ولا يتحقق الإخلاص إلا بحبه تعالى. لذا ورد في الروايات أن أساس الإسلام هو الحب، كما سيأتي في البحث الروائي.

قال الطباطبائي: «فالعبد المخلص لله بالحب لا بغية له إلا أن يحب الله سبحانه كما أنه يحب الله، ويكون الله له كما يكون هو الله عز اسمه، فهذا هو حقيقة الأمر. غير أن الله سبحانه لا يعدد في كلامه كل حب له حباً (والحب في الحقيقة هو العلة والرابط التي تربط أحد الشيئين بالآخر) على ما يقضي به ناموس الحب الحاكم في الوجود، فإن حب الشيء يقتضي حب جميع ما يتعلق به ويوجب الخضوع والتسليم لكل ما هو في جانبه، والله سبحانه هو الله الواحد الأحد الذي يعتمد عليه كل شيء في جميع شؤون وجوده وبتبغى إليه الوسيلة ويصير إليه كل ما دق وجل، فمن الواجب أن يكون حبه والإخلاص له بالتدين له بدين التوحيد وطريق الإسلام على قدر ما يطيقه إدراك الإنسان وشعوره، وإن الدين عند الله الإسلام، وهذا هو الدين الذي يندب إليه سفراءه ويدعو إليه أنبياءه ورسله، وخاصة دين الإسلام الذي فيه من الإخلاص ما لا إخلاص فوقه، وهو الدين الفطري الذي يختتم به الشرائع وطرق النبوة كما يختتم بصادعه الأنبياء عليهم السلام وهذا الذي ذكرناه مما لا يرتاب فيه المتدبر في كلامه تعالى، وقد عرف النبي صلى الله عليه وآله سبيله الذي سلكه بسبيل التوحيد وطريقة الإخلاص على ما

(١) آل عمران: ٣١.

أمره الله سبحانه حيث قال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) فذكر أنّ سبيله الدعوة إلى الله على بصيرة والإخلاص لله من غير شرك، فسبيله دعوة وإخلاص، وإتباعه واقتفاء أثره إنّما هو في ذلك، فهو صفة من اتبعه^(٢).

التأييد في النصوص الروائية

هنالك عدد من النصوص الروائية تلتقي في الدلالة مع الآيات القرآنية في الكشف عن أنّ طريق الإخلاص لله تعالى، هو الحبّ والتعلّق به تعالى وحده، ومن أبرز هذه النصوص الروائية ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله خوفاً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة...»^(٣).

حيث يقسّم الإمام عليه السلام العبادة إلى ثلاثة أقسام:

- ١- الذين يعبدون الله رغبة، أي طمعاً وطلباً للجنة والمغفرة.
- ٢- الذين يعبدون الله خوفاً من ناره وعقابه.
- ٣- الذين يعبدون الله لا رغبة ولا خوفاً.

وهذه الطائفة الثالثة قد ملأت محبة الله تعالى قلوبهم ولم يروا سوى محبوبهم، بل لا يرون الأشياء إلاّ من خلال محبوبهم وهو الله سبحانه روي أنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قائلاً: «يا داود، إنّ أحبّ

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٥٩.

(٣) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٧٤١ هـ، قم: ص ٢٤٦.

الأحباء إليّ من عبدني بغير نوال ولكن عبدني ليعطي الربوبية حقّها، ومن أظلم ممن عبدني لجنّة أو نار، ألم أكن أهلاً أن أطاع وأُعبَد خالصةً؟»^(١).

ومن المعلوم أنّ مقام العبادة لله وحده من دون رغبة ولا رهبة إنّما هو مقام لا يناله إلاّ ذو حظ عظيم، ولا يستطيع أيّ إنسان أن يصل إلى هذا المقام الذي لا يصله إلاّ الأولياء.

بيد أنّ الإخلاص التامّ معه تعالى لا يتحقّق إلاّ من خلال العبادة الخالصة وهي لا تتحقّق إلاّ من خلال الإخلاص.

ومن هنا نجد تركيز الروايات على أنّ أساس الإسلام هو الحبّ، ومن هذه الروايات:

• عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر صلوات الله وسلامه عليه «أنّ قوماً أتوه من خراسان، فنظر إلى رجل منهم قد تشققتا رجلاه، فقال له: ما هذا؟ فقال: بعد المسافة، يا بن رسول الله، والله ما جاء بي من حيث جئت إلاّ محبّتكم أهل البيت، فقال له أبو جعفر: أبشر، فأنت والله معنا تحشر. قال: معكم، يا بن رسول الله؟ قال: نعم، ما أحبّنا عبد إلاّ حشره الله معنا، وهل الدين إلاّ الحب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٢).

• وعن أبي عبيدة زياد الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث له قال: «يا زياد ويحك وهل الدين إلاّ الحبّ، ألا ترى إلى قول الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. أو لا ترى قول الله لمحمد

(١) نقلاً عن شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح المازندراني، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو

الحسن الشعراني، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج ١٠، ص ٧٩.

(٢) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ج ١، ص ٧١.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾. فقال: الدين هو الحب، والحب هو الدين^(١). وغير ذلك من الروايات.

المراد من المخلص والفرق بين المخلص والمخلص

المخلص هو الذي يستخلصه الله تعالى ويختاره لنفسه، بعد أن أخلص الله تعالى في كل شيء ولم يوجد في قلبه شيء سوى الله تعالى. فالمخلصون هم الذين أخلصوا لله فلا يشاركه فيهم أي في عبادتهم وعبادتهم سواء ولا نصيب فيهم لغيره، ولا يذكرون إلا ربهم، وقد نسوا دونه كل شيء حتى أنفسهم، فليس في قلوبهم إلا هو سبحانه، ولا موقف فيها للشيطان ولا لتزييناته.

وهم الطائفة الثالثة الذين عبدوا الله حباً له لا رغبة ورهبة، فطهرهم الله تعالى، أمّا أولئك الذين عبدوا الله رغبة أو رهبة فليسوا من أصحاب الطهارة التامة والإخلاص التام لله تعالى.

مما تقدّم يتّضح الفرق بين المخلص (بالكسر) والمخلص (بالتفتح) فإنّ المخلص (بالكسر) هو ذلك الإنسان الذي أخلص عمله وقلبه لله تعالى.

أمّا المخلص (بالتفتح، أي بصيغة اسم المفعول) فهو الذي وقع عليه الإخلاص، بمعنى أنّ الله تعالى استخلصه لنفسه، لأنّه وصل إلى أعلى درجات الطهارة ولم يتلوّث بألوان الموانع والمزاحمات، وهؤلاء هم الأنبياء والأئمة، وقال القرآن بأنّ الله اجتباهم أي جمعهم لنفسه وأخلصهم

(١) المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

لخضرته؛ قال تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) وقال: ﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٢).

متى يكون الإنسان مخلصاً

اتضح مما تقدم أن طريق الإخلاص لله تعالى هو الحب لله خالصاً والاتباع للرسول صلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾.

فإذا وصل الإنسان إلى الإخلاص والحب لله تعالى، يبادلّه الله تعالى الحب، فإذا أحبه الله تعالى استخلصه لنفسه ويكون مخلصاً من قبله سبحانه، فيوليه تعالى عنايته الخاصة ويصطفيه ويحبّيه لنفسه.

امتيازات المخلصين

ذكر القرآن الكريم ثلاثاً من امتيازات المخلصين، وهي:

١: عدم تمكن الشيطان من إغوائهم

وهذا ما نصّت عليه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٣). ومن الواضح أن عدم إغواء الشيطان للمخلصين هو لعدم تمكّنه وقدرته على إغوائهم؛ إذ إن الشيطان أقسم بالله العظيم أن لن يستثني أحداً من البشر في إغوائهم حيث قال: ﴿لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾، فلا نصيب له فيهم لأنهم وصلوا إلى درجة من العلم واليقين بنحو لا يمكن للشيطان من إغوائهم والوسوسة لهم، وهذا هو معنى العصمة. وقد تقدّم

(١) الأنعام: ٨٧.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) ص: ٨٢-٨٣.

في بحث العصمة أنّ منشأ المعصية هو إغواء الشيطان للإنسان. وهذا معناه: أنّ الله سبحانه خلق بعض عباده هؤلاء على استقامة الفطرة واعتدال الخلقة، فنشأوا من بادئ الأمر بأذهان وقادة وإدراكات صحيحة ونفوس طاهرة وقلوب سليمة، فنالوا بمجرّد صفاء الفطرة وسلامة النفس من نعمة الإخلاص ما ناله غيرهم بالاجتهاد والكسب بل أعلى وأرقى؛ لطهارة داخلهم من التلوّث بالوثا الموانع والمزاحمات. فهم وصلوا إلى مرتبة ودرجة وجودية بحيث أقرّ الشيطان بالعجز عن إغوائهم.

٢: المخلصون لا يحضرون الحساب

هذه الحقيقة يكشف عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْتَهُم لِمُحْضَرُونَ﴾ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^(١)، وهي واضحة الدلالة في أنّ المخلصين لا يحضرون للحساب.

والسبب في عدم حضورهم للحساب ليس لأنّهم لا حساب لهم، وإنّما لأجل أنّهم قد حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ووزنوها قبل أن يوزنوا.

٣: المخلصون لهم الحقّ في وصف الله تعالى

وهذه الحقيقة يشير إليها قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^(٢) الدالّ بوضوح على تنزّه الحقّ تعالى من وصف غير المخلصين، فيكشف عن أنّ غير المخلصين لا يتمكّنون أن يصفوا الله تعالى، ولعلّ سبب عدم قدرة غير المخلصين على وصف الله تعالى يبدو واضحاً،

(١) الصافات: ١٢٧-١٢٨.

(٢) الصافات: ١٥٩-١٦٠.

إذ إنّ غير المخلصين لم يعرفوا الله تعالى بما يمكنهم من وصفه سبحانه بصورة صحيحة خالية من النقص؛ لأنّ الوصف الصحيح السليم فرع المعرفة الصحيحة، أمّا المخلصون فقد وصلوا إلى درجة من العلم واليقين والمعرفة بالله تعالى تمكنهم من وصف الله بالوصف والنعمة السليم لله تعالى.

قال الطباطبائي: «إنّ هؤلاء المخلصين من الأنبياء والأئمة عليهم السلام قد بينوا لنا جمل المعارف المتعلقة بأسمائه تعالى وصفاته من طريق السمع وقد حصلنا العلم به من طريق البرهان أيضاً، والآية مع ذلك تنزّهه تعالى عمّا نصفه به دون ما يصفه به أولئك المخلصون، فليس إلّا أنّ العلم غير العلم وإن كان متعلّق العلمين واحداً من وجه»^(١).

بمعنى: أنّ الله تعالى منزّه عن كلّ وصف يصفه به الناس إلّا عباد الله المخلصين؛ لعدم قدرة غير المخلصين من بيان حقيقة الموصوف وهو الله تعالى بصورة سليمة.

لذا يقول الإمام الرضا عليه السلام في بيان وصف غير المخلصين: «كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم. ولعلّ النمل الصغار تتوهم أنّ الله تعالى زبائيتين فإنّ ذلك كما لها، ويتوهم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما، وهذا حال العقلاء في ما يصفون الله تعالى به»^(٢)؛ لأنّهم يصفونه بمفاهيم محدودة مع أنّ الله تعالى غير محدود بحدّ ولا يحيط به حدّ، فكل وصف يصفه به غير المخلصين فهو غيره تعالى، لأنّ ما توهمته محدود فقير، ولا ينسجم مع الحقّ تعالى الغني الحميد اللامتناهي، وبتعبير

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١١، ص ١٦٣.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٦، ص ٢٩٣.

القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١).

وبهذا يتضح السبب وراء أنه تعالى وإن حكى الحمد عن كثير من خلقه بل عن جميعهم، كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(٢). وقوله ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣). وقوله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٤). إلا أنه سبحانه شفع الحمد في جميعها بالتسبيح، بل جعل التسبيح هو الأصل في الحكاية وجعل الحمد معه، وذلك أن غيره تعالى لا يحيط بجمال أفعاله وكمالها كما لا يحيطون بجمال صفاته وأسمائه التي منها جمال الأفعال، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾^(٥) علماً^(٥) فما وصفوه به فقد أحاطوا به وصار محدوداً بحدودهم مقدراً بقدر نيلهم منه، فلا يستقيم ما أثنوا به من ثناء إلا من بعد أن ينزهوه ويسبحوه عما حدّوه وقدّروه بأفهامهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦).

وأما المخلصون من عباده تعالى فقد جعل حمدهم حمده ووصفهم وصفه حيث جعلهم مخلصين له، فقد بان أن الذي يقتضيه أدب العبودية أن يحمد العبد ربه بما حمد به نفسه ولا يتعدى عنه، كما في الحديث الذي رواه الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك).

(١) الشورى: ١١.

(٢) الشورى: ٥.

(٣) الرعد: ١٣.

(٤) الإسراء: ٤٤.

(٥) طه: ١١٠.

(٦) النحل: ٧٤.

خلاصة الفصل الأول

١ - الولاية التكوينية هي القدرة على التصرف في الأمور الكونية التي تتجاوز القدرة العادية في التعامل مع النواميس الطبيعية، مثل إحياء الموتى، أو طي الأرض، أو الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف، أو تحريك الرياح، ونحو ذلك.

٢ - الاستدلال على إمكانية توفر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى، من دون استلزام ذلك لأي محذور.

٣ - الدليل على إمكانية إعطاء الله الولاية التكوينية لبعض مخلوقاته يعتمد على المقدمات التالية:

- أ. المقدمة الأولى: إن الله تعالى خلق هذا العالم وفق النظام الأحسن. وقد استدل على هذه المقدمة بدليلين أحدهما عقلي والآخر نقلي.
- ب. المقدمة الثانية: العلاقة بين الأثر والمؤثر علاقة جعلية من الله تعالى. واستدل على هذه المقدمة بعد إبطال النظريات الأخرى وهما نظرية الأشاعرة القائلة بعدم وجود علاقة بين الأثر والمؤثر، والنظرية الأخرى القائلة بأن العلاقة بين الأثر والمؤثر علاقة ذاتية.

وفي ذيل هذه المقدمة تم الاستدلال على أن قانون العلوية المعلولة قانون عام لكل شيء بما في ذلك الأشياء الخارقة للعادة، وتبين كذلك أن السبب القريب لحصول الخارق للعادة هو نفس الآتي بالخارق، لكن بإذن الله تعالى.

٣- المقدمة الثالثة: رؤية الملكوت موجبة للتصرف في التكوين بشكل خارق للعادة.

وقد استدلل على هذه المقدمة بعد التمهيد لها بعدة أمور، منها أن مصدر الكمالات العلمية والعملية هو الله تعالى، وأن هناك قرباً معنوياً من الله تعالى، وكلما كان الإنسان أكثر قرباً من الله تعالى يكون أكثر قدرة وأثراً في التصرف في التكوين وبالعكس.

وعلى هذا الأساس فإذا وصل الإنسان إلى الملكوت الذي هو باطن الأشياء وحقائقها، وتحقق له اليقين القرآني، يكون أقرب إلى الله تعالى ويكون له القدرة على التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة بإذن الله تعالى.

والنتيجة توفر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى، من دون استلزام ذلك لأي محذور.

وقد تعرضنا إلى بعض الشواهد القرآنية والروائية على أن الإنسان القريب من الله تعالى يستطيع التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة.

وإتماماً للبحث تعرضنا إلى بيان حقيقة المقربين من الله تعالى، وأن المقربين هم المخلصون (بالفتح) الذين استخلصهم الله لنفسه

وقد أشرنا إلى الفرق بين المخلصين (بالفتح) والمخلصين (بالكسر)، وأشرنا كذلك إلى بعض امتيازات المخلصين، ومنها:

١- عدم قدرة الشيطان على إغوائهم.

٢- أنهم لا يحضرون الحساب لأنهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٣- أن المخلصين وحدهم لهم الحق على وصف الله تعالى؛ لعدم قدرة

غيرهم على ذلك.

الفصل الثاني
الأدلة القرآنية والروائية على
ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأولياء

(١)

الأدلة القرآنية على ثبوت الولاية التكوينية

للأنبياء وغيرهم

هنالك عدد من النصوص القرآنية والروائية تدلّ على أنّ الله تعالى منح الولاية التكوينية لبعض المخلوقات سواء كانوا أنبياء أم أولياء أم ملائكة أم جنّاً.

الصنف الأول: الولاية التكوينية المعطاة للأنبياء

١. خليل الله إبراهيم عليه السلام؛ كما حكى القرآن الكريم قصّته؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَظْمَنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

فإنّ إبراهيم الخليل عليه السلام طلب من الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، فأعطاه الله وياذن منه - سبحانه - القدرة على إحياء أربعة من الطير على يده بشكل معجز خارق للعادة، لا أنّ إبراهيم عليه السلام دعا ربّه فأحيى له الطيور بواسطة الدعاء - كما توهم البعض - وإنّما أمر الله تعالى نبيّه إبراهيم عليه السلام بأخذ أربعة من الطير وقال له ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ

(١) البقرة: ٢٦٠.

عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ۖ أَي اذبحهن وبدّد أجزاءهن واخلطها ثم فرّقها على الجبال الموجودة هناك لتتباعد الأجزاء ومن غير تمييز بينها، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ أي ادع الطيور ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا﴾ أي أحياء. ومن الواضح أنّ هذا التصرف الخارق للعادة من إحياء تلك الطيور الميتة دليل على تمتّع إبراهيم عليه السلام بالولاية التكوينية.

٢. موسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾^(١) وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ۖ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٣).

فهذه النصوص القرآنية واضحة الدلالة على صدور المعاجز على يد موسى عليه السلام من قبيل انقلاب العصا إلى حية وتفجّر الماء من الصخر وتحول البحر إلى ييس، مما يكشف عن قدرته عليه السلام وتصرفه بالكون بشكل خارق للعادة بإذن الله تعالى، وهو معنى الولاية التكوينية.

٣. النبي داود عليه السلام: فقد دلّت جملة من النصوص القرآنية على تصرفه في التكوين بشكل خارق للعادة كما في قول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿يَجْبَالُ

(١) الأعراف: ١١٧.

(٢) الدخان: ٢٣-٢٤.

(٣) البقرة: ٦٠.

(٤) الأنبياء: ٧٩.

أَوْبَى مَعَهُ، وَالطَّيْرُ وَالنَّالَةُ الْحَدِيدَ^(١) وقوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾^(٢). فهذه النصوص القرآنية واضحة الدلالة على إعطاء الله تعالى القدرة للنبي داود عليه السلام على التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة؛ ما يعني انطواء النبي داود على الولاية التكوينية.

٤. النبي سليمان عليه السلام: أشارت جملة من الآيات القرآنية على تمتعه بالولاية التكوينية، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيْطَانِ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣). فهذه الآيات واضحة الدلالة على أن الله تعالى أعطى لسليمان عليه السلام القدرة على تسخير الرياح متى شاء وكذلك القدرة على التكلم مع الطير والنمل، كما في قوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٤). ومن الواضح أن التكلم مع الجن والنمل أمر خارق للعادة يكشف عن الولاية التكوينية والقدرة على التصرف في الكون.

٥. عيسى المسيح عليه السلام: حيث دلّت جملة من النصوص القرآنية على تمتعه بالقدرة التكوينية؛ من قبيل إحياء الموتى وخلق الطير من الطين بلا تناسل، ونفخ الروح في الطير المصنوع من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص.

(١) سبأ: ١٠.

(٢) ص: ٣٦.

(٣) ص: ٣٦-٣٩.

(٤) النمل: ١٦-١٧.

فهذه الأمور لا يمكن أن تصدر إلا ممن تمكن من التصرف في نظام التكوين بإذن الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١).

فالآيات الكريمة دالة بوضوح على قدرة النبي عيسى عليه السلام بالتصرف في التكوين بشكل خارق للعادة مما يكشف عن اشتماله على الولاية التكوينية بإذن الله تعالى.

وظاهر قوله: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾ أن هذه الآيات كانت تصدر عنه صدوراً خارجياً، لا أن الكلام مسوق لمجرد الاحتجاج والتحدي، ولو كان مجرد قول لقطع العذر وإتمام الحجة لكان من حق الكلام أن يقيّد بقيد يفيد ذلك كقولنا: إن سألتكم أو أردتم أو نحو ذلك. على أن ما يحكيه الله سبحانه من مشافهته لعيسى يوم القيامة يدل على أن وقوع هذه الآيات أتم الدلالة، قال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي...﴾^(٢).

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) المائدة: ١١٠.

الصنف الثاني : الولاية التكوينية لغير الأنبياء عليهم السلام

١. الصديقة مريم عليها السلام. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

الآية المباركة تتحدث عن أنّ زكريا عليه السلام لما صار كفيلاً لمريم من قبل الله تعالى، وبعد أن بلغت مريم عليها السلام الرشد تحت كفالته، كان كلما دخل زكريا عليها وجد عندها طعاماً في غير الموسم، فسألها متعجباً ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ فقالت مريم عليها السلام: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ومن الواضح أنّ المراد بقوله ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا يعني أنّ عطاء الله لا حساب له، لأنّه تعالى يقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٢) ويقول أيضاً: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣)، وإنّما المراد أنّ رزق الله لا يمكن فهمه بواسطة الحساب والطرق المتعارفة، وإنّما له تعالى سبل للرزق بغير الأسباب المتعارفة، وعلى هذا فالآية دالة على انطواء مريم عليها السلام على نحو من الولاية والتصرف في التكوين.

٢. وصي سليمان آصف بن برخيا عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي﴾^(٤).

فالآية المباركة صريحة في أنّ سليمان عليه السلام طلب ممن خصّهم

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) الرعد: ٨.

(٣) القمر: ٤٩.

(٤) النمل: ٤٠.

بالخطاب الإتيان بعرش بلقيس عليه السلام في لحظات، مع علمه عليه السلام بالمسافة الشاسعة بين اليمن الذي هو مكان عرش بلقيس وبين فلسطين التي كان فيها سليمان عليه السلام، فقام إليه الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وصي سليمان ووزيره كما في الروايات^(١).

وجاء آصف عليه السلام بذلك العرش بأقل من طرفة عين، ولا شك أن صدور هذا الفعل منه يكشف عن قدرته على التصرف في التكوين.

ومن الجدير بالذكر أن الآية المباركة جاءت مشفوعة بذكر منشأ قدرة آصف على هذا الفعل، وهو حيازته على جزء من علم الكتاب كما يشير إليه وصفه عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾، إذ لو لم يكن لهذا الوصف دخل في قدرته على التصرف في التكوين، لكان الإتيان به في الآية لغواً، ولا يكون في كلام الله تعالى.

ومما يؤيد ذلك ما أفاده اللغويون من أن الوصف مشعر بالعلية، فوصف آصف عليه السلام بأنه الذي لديه علم من الكتاب يشعر بأن علمه بجزء من الكتاب علة لما صدر منه من تصرف في التكوين.

وقد وردت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنه كان آصف بن برخيا وزير سليمان وأنه كان عنده بعض اسم الله الأعظم كما

(١) روى العياشي في تفسيره عن الإمام الهادي عليه السلام، قال: الذي عنده علم الكتاب آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف لكنه أحب أن يعرف أمته من الإنس والجن أنه الحجة من بعده. وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهمه الله ذلك لثلاثا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام ليتعرف إمامته ونبوته من بعده ولتأكيد الحجة على الخلق. بحار الأنوار، ج ١٤، باب ٩، قصة سليمان مع بلقيس، ح ١٣.

سيأتي إن شاء الله تعالى.

٣. ذو القرنين عليه السلام. قال تعالى حكاية عنه: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(١)، وقد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام من سألته عن كيفية بلوغ ذي القرنين المشرق والمغرب بقوله: «سخر له السحاب ومدّت له الأسباب وبسط له في النور، وقال: أزيدك؟ فسكت الرجل..»^(٢). أي كان ذو القرنين يتصرّف في السحاب، وهذا يدلّ على تمتّعه بالولاية التكوينية.

٤. الجنّ. قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾^(٣)، والآية واضحة في أنّ الله تعالى قد أعطى لذلك العفريت من الجنّ القدرة التكوينية الخارقة.

(١) الكهف: ٨٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، ١٤١٥ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان: ج ١٧، ص ٣٣.

(٣) النمل: ٣٩.

(٢)

الأدلة الروائية على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء وغيرهم

(كل من ملك الاسم الأعظم تثبت له الولاية التكوينية)

عند الانتقال إلى النصوص الروائية في كتب الحديث تواجهنا عشرات الروايات تفيد: أن كل من ملك الاسم الأعظم فهو قادر على التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة، أي لديه الولاية التكوينية. ولأجل إيضاح المطلوب بشكل واضح يحول دون الوقوع في الالتباس ينبغي تقديم عدد من الأمور:

الأمر الأول: في معنى الاسم

الاسم لغة: أصله من الوسم والسمة وهي العلامة (المسمّى)^(١). الاسم في الاصطلاح: هو نفس ما عليه في اللغة، إذ الاسم علامة على المسمّى، وقد أشارت جملة من الروايات إلى هذا المعنى، فعن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا علي بن موسى عليها السلام، عن بسم الله، قال: معنى قول القائل بسم الله أي أسم على نفسي سمة من سمات الله عز وجل وهي العبادة. قال: فقلت له: ما السمة؟ فقال: العلامة^(٢).

(١) انظر لسان العرب، مصدر سابق: مادة ساء.

(٢) التوحيد، مصدر سابق: ص ٢٢٩.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الاسم ما أنبأ عن المسمّى»^(١). والإنشاء هو العلامة والكشف والحكاية.

وعن الإمام الرضا عليه السلام أيضاً قال: «الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى»^(٢). وبهذا يتضح أنّ الاسم بالمعنى الاصطلاحي يلتقي مع المعنى اللغوي في دلالته على المسمّى.

الأمر الثاني: أقسام الأسماء الإلهية

تقسم الأسماء الإلهية إلى قسمين:

القسم الأول: الأسماء الإلهية اللفظية

المقصود من الاسم اللفظي هو اللفظ الموضوع لمسمّى خارجي، فيكون هذا اللفظ علامة وحاكياً عن الواقع الخارجي، كما هو الحال في الأسماء المتعارفة عندنا حيث وضعت للحكاية عن مسمّيات خارجية وتمييز الذوات الخارجية عن بعضها.

ومن الواضح أنّ الاسم اللفظي لا يكون عين المسمّى الخارجي، لأنّ الاسم اللفظي من مقولة كيف المسموع، فتكون حكايته عن الخارج بواسطة الصور والمفاهيم الذهنية، أمّا الأعيان الخارجية فهي ليست من مقولة كيف المسموع وإنّما هي إمّا جواهر أو أعراض.

إذاً الاسم اللفظي يستحيل أن يكون عين الواقع الخارجي، وبناءً على هذا فإنّ الذات الإلهية لها أسماء لفظية مجعولة وهي عبارة عن الألفاظ التي

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق وتصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦ م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف: ج ١، ص ٣٢٥.

(٢) التوحيد، مصدر سابق: ص ٦٢.

وضعت للدلالة على الذات المقدسة، أو على صفة من صفاتها الجمالية والجلالية كلفظ العالم والقادر والحي ونحوها، ويستحيل أن تكون هذه الأسماء اللفظية متّحدة مع الذات الإلهية - كما تقدّم -.

وإلى هذا المعنى أشارت جملة من الروايات منها:

١- عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام قلت له: جعلني الله فداك نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد؟ قال: فقال: إنّ من عبد الاسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر و جحد ولم يعبد شيئاً، بل اعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء دون الأسماء، إنّ الأسماء صفات وصف بها نفسه...»^(١).

٢- ما رواه الكليني عن هشام بن الحكم أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ قال: فقال لي: يا هشام الله مشتق من إله والإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟

قال: فقلت: زدني. قال: إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكل والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتّخذين مع الله عزّ وجلّ غيره؟

قال: قلت: نعم، فقال: نفعلك الله به وثبتك يا هشام. قال هشام: فوالله ما

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٧ - ٨٨.

قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا^(١). وغير ذلك من الروايات التي تشير إلى المعنى ذاته.

القسم الثاني: الأسماء الإلهية التكوينية

الفرق بين الاسم والصفة: لأجل بيان المطلوب بشكل واضح ينبغي الإشارة إلى الفرق بين الاسم والصفة.

إنّ الصفة تدلّ على معنى متلبّس بالذات سواء كان هذا المعنى من المعاني المتّحدة مع الذات أم لا، من قبيل صفة الحياة التي هي من الصفات الذاتية المتّحدة مع الذات، والرازقية التي هي من الصفات الفعلية الخارجة عن الذات، ونحوها من الصفات الأخرى.

أمّا الاسم: فهو الذات مأخوذة بوصف صفة معيّنة أو أكثر. فمثلاً حين يوصف زيد بالعلم، فيقال له عالم، فقد أخذت الذات (زيد) مع صفة العلم. وقد أشار إلى هذا المعنى الطباطبائي بقوله: «لا فرق بين الصفة والاسم غير أنّ الصفة تدلّ على معنى من المعاني يتلبّس به الذات أعمّ من العينية والغيرية، والاسم هو الدالّ على الذات مأخوذة بوصف. فالحياة والعلم صفتان، والحَيّ والعالم اسمان. وإذا كان اللفظ لا شأن له إلّا الدلالة على المعنى وانكشافه به، فحقيقة الصفة والاسم هو الذي يكشف عنه لفظ الصفة والاسم، فحقيقة الحياة المدلول عليها بلفظ الحياة هي الصفة الإلهية وهي عين الذات، وحقيقة الذات بحياتها التي هي عينها هو الاسم الإلهي، وبهذا النظر يعود الحي والحياة اسمين للاسم والصفة وإن كانا بالنظر المتقدّم نفس الاسم ونفس الصفة»^(٢)

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٨، ص ٣٥٢.

وفي هذا الضوء فلو فرضنا أن زيداً مثلاً متّصف بعدّة صفات كالعلم والعدالة والإحسان والفقاهة والطبابة... وأخذنا زيداً بقيد صفة العلم سُمّي عالماً، أمّا إذا أخذناه من حيثية الإحسان فيقال محسن، وهكذا بالنسبة لبقية الصفات. فزيد حقيقته الخارجية واحدة، لكن صفاته متعدّدة. ومن هنا يتّضح أن اختلاف الصفات لا يلزم منه تعدّد الذوات، بل قد يلزم من اختلاف الصفات والحيثيات تعدّد الذوات وقد لا يلزم. إذاً الفرق بين الصفة والاسم هو أن الصفة الخارجية تدلّ على تلبّس الذات بمعنى من المعاني، أمّا الاسم فهو الذات الخارجية مع صفة من الصفات. وبعد بيان هذه المقدّمة يتّضح: أن الاسم التكويني يطلق على الذات الخارجية مأخوذة مع صفة معيّنة.

الاسم التكويني عين المسمّى الخارجي

انطلاقاً مما انتهينا إليه في المقدّمة السابقة وهو أن الاسم التكويني هو الذات الخارجية متحيّثة بصفة معيّنة، يتّضح أن الاسم التكويني هو عين الذات الخارجية أي عين المسمّى، إلّا أنّه يحكي عن حيثية من حيثيات المسمّى (الذات الخارجية). فاسم العالم مثلاً يحكي عن الذات مع حيثية العلم، واسم المحسن يحكي عن الذات بوصفها بصفة الإحسان وهكذا، وبهذا يتّضح أن الاسم التكويني هو عين المسمّى خارجاً.

الفرق بين الاسم اللفظي والاسم التكويني

في ضوء ما تقدّم من بيان المراد من الاسم اللفظي والتكويني، يتّضح الفرق بينهما، وهو أن الاسم اللفظي من مقولة الكيف المسموع، ومن المستحيل أن يتّحد مع الذات الخارجية، التي هي من مقولة الأعيان الخارجية،

أمّا الاسم التكويني - الذي هو الذات الإلهية مأخوذة مع صفة معيّنة - فهو عين المسمّى، وليس من مقولة الألفاظ وإنّما من مقولة الأعيان الخارجية.

ولعلّ أفضل مؤشر يشير إلى هذا المعنى هو ما حفلت به النصوص الروائية على نحو ما في الحديث المتقدّم الذي أشار فيه الإمام عليه السلام بقوله: «إنّ من عبد الاسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر و جحد ولم يعبد شيئاً، بل اعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء دون الأسماء. إنّ الأسماء صفات وصف بها نفسه...»^(١).

ومن هنا يتّضح سبب وصف من يعبد الاسم بكونه كافراً؛ وهو لأنّ الاسم اللفظي شيء اعتباري، فلا تكون عبادته عبادة لله تعالى. وإلى هذا المعنى يشير السيّد الخوئي بقوله: «في كلّ شيء دلالة على وجود خالقه وتوحيده، وكما تختلف الأسماء الإلهية اللفظية من حيث دلالتها، فيدلّ بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال، ويدلّ بعضها على جهة خاصّة من كمالاتها على اختلاف في العظمة والرفعة، فكذلك تختلف الأسماء التكوينية من هذه الجهة، وإن اشترك جميعها في الكشف عن الوجود والتوحيد، وعن العلم والقدرة وعن سائر الصفات الكمالية. ومنشأ اختلافها: أنّ الموجود إذا كان أتمّ كانت دلالاته أقوى، ومن هنا صحّ إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمة الهداة، كما في بعض الروايات»^(٢).

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) البيان في تفسير القرآن، السيّد الخوئي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان: ص ٤٣٣.

المراد من الأسماء وأسماء الأسماء

تطلق كلمة الأسماء على الأسماء التكوينية، أمّا أسماء الأسماء فيراد منها الأسماء اللفظية، والوجه في ذلك هو أنّ دلالة الأسماء التكوينية على الذات الخارجية دلالة حقيقية، لأنّ الاسم التكويني هو عين المسمّى - كما تقدّم - ومن هنا كانت الأسماء التكوينية أحقّ أن تسمّى بالأسماء، بخلاف الأسماء اللفظية فإنّ دلالتها على الذات الخارجية دلالة اعتبارية ؛ ولذا استحقّت أن يطلق عليها أسماء الأسماء.

أقسام الأسماء الإلهية التكوينية

كما أنّ الصفات الإلهية تنقسم إلى صفات ذاتية وأخرى فعلية، كذلك الأسماء الإلهية التكوينية، تنقسم هي الأخرى إلى أسماء ذاتية وأسماء فعلية، والوجه في ذلك أنّ الأسماء الإلهية التكوينية هي الذات مأخوذة مع صفة معيّنة، وحيث إنّ الصفات الإلهية تنقسم إلى صفات ذاتية وأخرى فعلية، فتكون الأسماء الإلهية منقسمة بتبعها، فالأسماء التكوينية تنقسم إلى:

- ١- الأسماء الذاتية: وهي الأسماء التي تطلق على الذات الإلهية المأخوذة مع صفة من الصفات الذاتية، كاسم الحي والعليم والقدير.
- ٢- الأسماء الفعلية: وهي الأسماء التي تطلق على الذات الإلهية المأخوذة مع صفة من الصفات الفعلية كاسم الخالق والرازق ونحوها.

وإلى هذا المعنى يشير الطباطبائي بقوله: «إنّ هذه الألفاظ المسماة بأسماء الله إنّما هي أسماء الأسماء، وإنّ ما تدلّ عليه وتشير إليه من المصداق - أعني الذات مأخوذة بوصف ما - هو الاسم بحسب الحقيقة. وعلى هذا فبعض الأسماء الحسنی عين الذات وهو المشتمل على صفة ثبوتية كمالية كالحي

والعليم والقدير. وبعضها زائد على الذات خارج منها وهو المشتمل على صفة سلبية أو فعلية كالخالق والرازق لا تأخذه سنة ولا نوم، هذا في الأسماء وأما أسماء الأسماء وهي الألفاظ الدالة على الذات المأخوذة مع وصف من أوصافها فلا ريب في كونها غير الذات، وأنها ألفاظ حادثة قائمة بمن يتلفظ بها»^(١).

وبهذا يتضح ما توهمه البعض من أن الاسم هو عين المسمى ومن ثم تكون عبادة الاسم هي عبادة للمسمى.

والجواب على هذا التوهم هو أن المشكلة التي أوقعتهم في هذا الوهم هو أنهم خلطوا بين الأسماء وهي الأسماء التكوينية، وبين أسماء الأسماء التي هي الأسماء اللفظية، فحسبوا أن المراد من عينية الأسماء مع الذات عينية أسماء الأسماء؛ لذا قالوا إن الاسم عين المسمى وإن عبادة الاسم هي عبادة المسمى.

وقد تقدّمت الروايات التي تشير إلى أن الاسم اللفظي غير الذات الإلهية من قبيل الرواية التي نقلناها عن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها...»^(٢) وغيرها مما يكشف عن الفرق بين الاسم اللفظي والاسم التكويني.

الأثر الخارجي يترتب على الاسم التكويني لا اللفظي

من الواضح أن الأثر الخارجي للأسماء الإلهية لا يترتب على الأسماء اللفظية التي هي أسماء الأسماء؛ لأن الاسم اللفظي هو مفهوم ذهني،

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٣، ص ٢٢٩.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٧.

اعتباري يتحقّق من خروج صوت من طريق الحنجرة.. ومثل هذا الأمر الاعتباري يستحيل أن يتصرّف ويؤثّر في نظام التكوين، وأن تكون له القدرة على الخلق والرزق...

فالمريض مثلاً حينما يدعو بالشفاء بقوله «يا شافي» فالمؤثّر بالشفاء ليس هو لفظ الشافي، وإنّما هو الاسم التكويني، أي الذات الإلهية مع صفة كونه قادراً على الشفاء. ومما يشهد لذلك هو عدم تأثير الدعاء لو صدر من حجر، بخلاف ما لو صدر من نبيّ أو وصيّ مثلاً. فلو كان التأثير بمجرد التلفظ بألفاظ الدعاء، لكان الدعاء مؤثراً وإن صدر من أيّ إنسان كان، بل ولو صدر من حجر.

فالآثار الخارجية من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والحشر والنشر... غير مترتبة على اسم لفظيّ وهو صوت مسموع عرضيّ قائم بمخارج الفم، فإن، بل صادرة من ناحية المعنى، وهذا المعنى أيضاً غير مؤثّر بما أنّه صورة خيالية مثلاً بالضرورة، فإنّها مثل اللفظ، وهي فانية في المصداق الخارجي، على أنّ هذا المؤثّر - كائناً ما كان - فهو مؤثّر بوجوده العيني، ومن المستحيل دخول مثل هذا الوجود في الذهن.

فالذي له الآثار الخارجية من الإحياء والخلق... هو الاسم التكويني، وهو الذات مأخوذاً بوصف من الأوصاف.

الأمر الثالث: المراد من الاسم الأعظم

لكي يتّضح المراد من الاسم الأعظم بوضوح، ينبغي تقديم مقدّمة تساهم في تحقيق المطلوب، وحاصلها أنّ للأسماء الإلهية التكوينية مراتب متعدّدة تختلف سعة وضيقاً، كما سيّضح من المبحث الآتي:

الأسماء الإلهية عامة وخاصة

المقصود من عمومية وخصوصية الأسماء الإلهية التكوينية، هو أنّ لكلّ اسم إلهي تكويني أثراً خاصاً يختلف سعة وضيقاً وعموماً وخصوصاً في ضوء الآثار الصادرة منها، فهناك أسماء تكوينية عامة نتيجة عمومية آثارها الكاشفة عنها، وكذلك توجد أسماء تكوينية خاصة تبعاً للآثار المترتبة عليها. فمثلاً اسم العالم فهو خاصّ بالنسبة إلى اسم الحي، وعامّ بالنسبة إلى اسم السميع والبصير والشهيد واللطيف، واسم الرازق خاصّ بالنسبة لاسم الرحمن وعامّ بالنسبة إلى اسم الشافي والهادي وهكذا..

إذا اتّضحت هذه المقدمة نقول: إنّ الاسم الأعظم هو أوسع الأسماء وأكثرها أثراً، بمعنى أنّ الاسم الأعظم هو الاسم الذي لا يوجد اسم أوسع وأعمّ منه أثراً.

وعلى هذا فللأسماء الحسنى عرض عريض تنتهي من تحت إلى اسم أو أسماء خاصة لا يدخل تحتها اسم آخر ثم تأخذ في السعة والعموم. ففوق كلّ اسم ما هو أوسع منه وأعمّ حتّى تنتهي إلى اسم الله الأكبر الذي يسع وحده جميع حقائق الأسماء وتدخل تحته شتات الحقائق برمتها، وهو الذي نسمّيه غالباً بالاسم الأعظم.

ومن هنا يتّضح أنّ الاسم الأعظم هو أوسع الأسماء الإلهية أثراً، وأنّ البركات النازلة منه هي أكبر البركات وأتمّها، وله يخضع كلّ شيء. وهذا المعنى يتلاءم مع كون المراد من الاسم الأعظم الذات الإلهية مأخوذة بجميع كمالاتها.

وبهذا يتبين أنّ الاسم الأعظم ليس هو المعنى الشائع بين الناس من أنّه

اسم لفظي من أسماء الله تعالى متى ما دعي به استجيب، وأنه مؤلف من حروف مجهولة لنا.

الاسم اللفظي للاسم الأعظم

في ضوء التمييز بين الاسم اللفظي والاسم التكويني، وأن لكل اسم تكويني اسماً لفظياً يطلق عليه اسم الاسم، يتبين أن أعظم وأوسع الأسماء التكوينية، الذي هو الاسم الأعظم له اسم لفظي وهو لفظ الجلالة «الله». ومما يشهد على هذه الحقيقة أن لفظ الجلالة «الله» يوصف به جميع الأسماء الإلهية الحسنى وسائر أفعاله، فيقال الله الرحمن الرحيم، ورحم الله وعلم الله ورزق الله، ولا يقع لفظ الجلالة صفة لباقي الأسماء الإلهية.

ارتباط الإنسان بالله تعالى بواسطة أسمائه تعالى

إن الإنسان يرتبط بالله تعالى بواسطة أسماء الله التكوينية، لا من طريق الذات الإلهية، لأن ذاته تعالى لا متناهية، فلا يمكن معرفتها والاطلاع عليها؛ لعدم إمكان إحاطة المتناهي باللامتناهي، ولكي يتضح هذا المعنى بشكل واضح، لابد من تقديم عدد من المقدمات.

المقدمة الأولى: إن الله تعالى خلق الخلق لأجل معرفته. وهذا المعنى هو صريح جملة من النصوص القرآنية والروائية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وقد فسرت العبادة بالمعرفة، إذ لا يمكن أن تتحقق العبادة إلا من خلال معرفة من سنخها؛ فإن الإنسان الجاهل بالله تعالى قد يعبد غير الله تعالى.

وفي الحديث القدسي «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق

(١) الذاريات: ٥٦.

لكي أعرف»^(١)، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أول الدين معرفته»^(٢). إذاً غاية المعرفة هو الوصول إلى الله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣). ومن الواضح أن فائدة وثمرة معرفة الله تعالى إنما ترجع إلى نفس الفعل وهو الإنسان، لأجل أن يتكامل من خلالها، لأن الله تعالى غني عن العالمين، لذا ورد في الحديث القدسي: «يا بن آدم خلقت كل شيء لأجلك»^(٤) إذاً غاية خلق الله تعالى للإنسان هو معرفة الله تعالى.

المقدمة الثانية: استحالة معرفة الذات الإلهية. بما أن الذات الإلهية لا متناهية وغير محدودة بحد؛ فيستحيل معرفتها والاطلاع عليها، لاستحالة إحاطة المتناهي - وهو الإنسان - باللامتناهي.

إن قيل: لو سلمنا أن الذات الإلهية لا يمكن التعرف عليها لأنها لا متناهية إلا أنه يمكن التعرف عليها من خلال صفاته تعالى.

فالجواب: ثبت في محله أن جملة من صفات الله تعالى من قبيل العلم والقدرة والحياة ونحوها من الصفات الذاتية هي عين الذات، فكما لا يمكن معرفة الذات الإلهية لعدم القدرة على الإحاطة بها لعدم تناهيها، فكذلك لا يمكن التعرف على صفاته تعالى.

النتيجة: في ضوء هاتين المقدمتين - من أن غاية الخلق هو المعرفة الإلهية

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٨٤، ص ١٩٩.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١، ص ١٤.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق وتصحيح أحمد عبد السلام الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ -

١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت: ج ٥، ص ٤٤٦.

وأن معرفة الله تعالى مستحيلة وغير ممكنة - اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجد للإنسان في عالم الإمكان نماذج من مخلوقاته تكون مظاهر لأسمائه المباركة، فيوجدُ الله تعالى نماذج لكي تكون مظهرًا وتجليًا لقدرته وعلمه ونحوها من أسمائه وصفاته المباركة؛ لأجل أن يتمكن الإنسان من الارتباط بالله تعالى من خلالها هذه النماذج المخلوقة، وقد اصطلح عليها القرآن الكريم بـ «الآيات».

فأينما وجدت صفة من صفات الكمال سواء على مستوى الموجودات المجردة أم على مستوى الموجودات المادية، فإن خالقها ومبدعها يكون واجداً لتلك الكمالات بنحو أعلى وأشرف، لذا قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(١)، إذ لو لم يكن معطي هذه الكمالات بنحو أعلى وأشرف لا يكون معطياً، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه. وكذلك لو فرض معطي الكمالات مساوياً لكمالات المعطى، فلا يعدّ المعطي معطياً، إذ لا مرجح لكونه هو المعطي دون الآخر المساوي له، لأنّه ترجيح بلا مرجح.

ومن هنا يتّضح أنّ طريق معرفة الله تعالى والارتباط به تنحصر بالآيات والعلامات، وتعبير القرآن: بالتجليات في مخلوقاته.

لأجل بيان مسألة التجلي والظهور يمكن الاستعانة بمثال المرأة، فإنّ الصورة التي تظهر في المرأة هي آية وعلامة دالة على صاحبها، وليس الصورة التي في المرأة هي عين الوجود الخارجي لصاحب الصورة. وهذه الحقيقة قرّرها الإمام الرضا عليه السلام^(٢) في حوار مع عمران

(١) الروم: ٢٧.

(٢) هذا الحوار كان في مجلس المأمون العباسي الذي جمع رموز الفكر من مختلف النحل من=

الصابئي الذي كان معروفاً بقوة الجدل، ويتحدّى في ذلك؛ يقول:

«لقد دخلت إلى الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بالوحدانية....».

ومن جملة أسئلة عمران الصابئي في ما يتعلّق في المقام هو قوله للإمام الرضا عليه السلام: «ألا تخبرني يا سيدي أهو «الله» في الخلق أم الخلق فيه؟

قال الرضا عليه السلام: «جلّ يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه، تعالى عن ذلك، وسأعلّمك ما تعرفه به، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أخبرني عن المرأة أنت فيها أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأي شيء استدلت بها على نفسك؟! قال عمران: بضوء بيني وبينها.

فقال الرضا عليه السلام: هل ترى من ذلك الضوء في المرأة أكثر مما تراه في عينك؟ قال: نعم. قال الرضا عليه السلام: فأرنا. فلم يجر جواباً. قال الرضا عليه السلام: فلا أرى النور إلا وقد دلّك ودلّ المرأة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالا، والله المثل الأعلى...»^(١).

وبهذا يتبيّن أنّ الأفعال من قبيل الخلق والأحياء والإماتة والتوقي ونحوها من الأفعال التي ينسبها القرآن الكريم ويصفه به تعالى، ثم يعود

=النصارى واليهود والصابئة والزرداشتية وغيرهم من الشخصيات العلمية من الروم، يتبعي من وراء ذلك النيل من شخصية الإمام الرضا عليه السلام عند المسلمين، ظناً من المأمون بعجز الإمام عليه السلام ما يؤدي إلى إضعاف حجّته وهيئته، إلا أنّه عليه السلام أجاب عن جميع أسئلة الحاضرين على الرغم مما استخدموه من جدل وصناعة إعلامية.

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٤٣٤.

ينسبها تارة أخرى إلى مخلوقاته إنما هو على نحو الصورة المرآتية. بمعنى أنّ هذه المخلوقات تنسب إليها هذا الأفعال بما هي مظهر لخالقية الله تعالى وقدرته وتجلّ لها، لا أنّ هذه المخلوقات تملك شيئاً قبال الله تعالى، بل كلّ ما تملكه يمثّل إراءة ومظهراً لما موجود عند الله تعالى.

ويعضد هذا المعنى ما ورد في المعاجم اللغوية التي أشارت إلى معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(١) بأنّ المثل هو العلامة الظاهرة، وأنّ كلّ شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنّه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، فإذا أدرك الإنسان الصورة علم أنّه قد أدرك ذا الصورة^(٢).

يتحصّل مما تقدّم أنّ أسماءه تعالى تتجلّى وتظهر في آية من آياته وفي خلق من مخلوقاته، وكلّ مظهر من مظاهر أسمائه تعالى يُظهر أثر ذلك الاسم الإلهي. فمثلاً من أسمائه تعالى المميت، فنجد أنّ مظهره في عالم الإمكان ملك الموت، الذي يظهر منه نفس الفعل الذي يعد من ذلك الاسم، لكن بإقدار الله تعالى وإذنه. وهكذا الأمر بالنسبة لباقي الأسماء الإلهية.

نتيجة البحث في الاسم الأعظم

الغاية من عقد البحث في الاسم الأعظم الوصول إلى النتيجة التالية وهي: أنّ كلّ من ملك الاسم الأعظم تثبت له الولاية التكوينية. وقد توصّلنا إلى هذه النتيجة بعد الوقوف على أنّ الأسماء الإلهية

(١) النحل: ٦٠.

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق: مادة: أبي، ص ٣٣.

التكوينية هي المؤثرة في نظام الكون وأن الاسم الأعظم هو الجامع لجميع الأسماء الإلهية، وهو أوسع الأسماء وأكثرها أثراً في عالم الإمكان، ومن الواضح أن النتيجة الطبيعية التي تترتب على هذه الحقيقة هو أن كل من ملك الاسم الأعظم يستطيع التصرف في نظام الكون وتثبت له الولاية التكوينية.

الاسم المستأثر

لا يمكن لأي وجود إمكاني محدود أن يكون علامة وآية ومظهراً للذات الإلهية لأنها غير محدودة ولا متناهية. نعم يمكن للوجود الإمكاني أن يكون مظهراً للذات الإلهية بقدر سعته الوجودية، وحيث إن السعة الوجودية للموجود الإمكاني - مهما بلغت - محدودة مقيدة، فيلزم من ذلك عدم إمكان أن يكون علامة وآية ومظهراً للامتناهي.

وعلى هذا فإن الاسم المستأثر هو الجانب غير المتناهي من الأسماء والذات الإلهية، أي الجانب الذي لا يمكن أن يوجد له مظهر وآية وعلامة في عالم الإمكان. فإن مظهرية الأسماء الإلهية إنما تكون بقدر السعة الوجودية لذلك المظهر ولا يمكن أن يكون موجود مظهراً للأسماء الإلهية من حيثية عدم تناهيها وعدم محدوديتها، فمظهرية العالم والقادر والمحيي إنما تكون على أساس درجة الممكن الوجودية ولا يمكن أن تكون مظهرية من حيثية عدم تناهي هذه الأسماء الإلهية.

وفي هذا الضوء يتضح أن الله تعالى عدة أسماء مستأثرة، بمعنى أن هذه الأسماء من حيثية عدم تناهيها وعدم محدوديتها لا يمكن أن يوجد لها في عالم الإمكان مظهر وعلامة، وهذا المعنى أشارت إليه روايات أهل البيت عليهم السلام:

فعن إبراهيم بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفيّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محبوب عنه حسّ كلّ متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل آخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون»^(١).

ونحوها من الروايات التي تبين أنّ الله تعالى استأثر بحرف واحد من حروف الاسم الأعظم، في إشارة إلى أنّ هذا الحرف المستأثر يمثل حيثية عدم التناهي في الكمالات الإلهية التي لا يمكن أن يكون يازائها مظهر أو علامة.

لا مظهر للاسم الأعظم بتمامه

تقدّم أنّ الاسم الأعظم هو الذات الإلهية مأخوذة بجميع حيثيات الكمال، بمعنى أنّ الاسم الأعظم لا يشدّ عنه كمال من الكمالات بجميع درجاتها اللامتناهية. في هذا الضوء يتّضح أنّ الاسم الأعظم بتمامه لا يمكن أن يكون له مظهر في عالم الإمكان؛ لمحدودية الممكن وعدم إمكان مظهريته للكمالات اللامتناهية. نعم للاسم الأعظم مظهر في عالم الإمكان بقدر الدرجة الوجودية للممكن.

ومن هنا نفهم الروايات التي تقول إنّ لله ثلاثاً وسبعين حرفاً وإنّه أعطى اثنين وسبعين حرفاً للخاتم ولأهل البيت إلّا حرفاً واحداً، تشير إلى هذا البرهان العقلي وهو عدم إمكان أن يكون الممكن مظهراً للذات الإلهية كلّها مع كمالاتها اللامتناهية.

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ١١٢.

خلاصة الفصل الثاني

١. المبحث الأول كرس لعرض الأدلة القرآنية على تمتع الأنبياء وغيرهم بالولاية التكوينية والتصرف في التكوين بشكل خارق للعادة، ومنهم خليل الله إبراهيم عليه السلام في قصة إحيائه للموتى، ونبي الله موسى عليه السلام وانقلاب العصا إلى أفعى وتحول البحر إلى يابس، وكذلك النبيين داود وسليمان عليهما السلام في تسخير الرياح لهما والنبي عيسى عليه السلام وإحيائه للموتى وخلق الطير من الطين من دون تناسل ونفخ الروح به، وكذلك غير الأنبياء ممن نقل القرآن تصرفهم في التكوين بشكل خارق للعادة من قبيل مريم عليها السلام وتوفر الطعام لها في غير الموسم وكذلك آصف وصي سليمان ونقله لعرش بلقيس في أقل من لحظة، رغم المسافة الشاسعة بين اليمن وفلسطين، وكذلك ذي القرنين وتسخير السحاب له ونحوها من التصرفات الخارقة للعادة التي ينقلها القرآن للأنبياء وغيرهم.

٢. المبحث الثاني اعتنى بعرض الأدلة الروائية على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء وغيرهم، وقد تمثلت هذه النصوص الروائية بالنصوص الدالة على أن من ملك الاسم الأعظم يستطيع التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة، وكان البحث بالشكل التالي:

- بيان حقيقة الاسم في اللغة والاصطلاح.

- بيان أقسام الأسماء الإلهية وأئها على قسمين.

الأسماء اللفظية: وهي الأسماء الموضوعة لمسمى خارجي كما هو

الحال في الأسماء المتعارفة عندنا.

الأسماء التكوينية: والمقصود من الاسم التكويني هو الذات الخارجية مأخوذة مع صفة معينة أو أكثر.

٣. الفرق بين الاسم اللفظي والتكويني، هو أنّ الاسم اللفظي من مقولة الكيف المسموع ويستحيل أن يتحد مع الذات الخارجية التي هي من مقولة الأعيان الخارجية.

أمّا الاسم التكويني فهو عين المسمّى الذي هو الذات الخارجية وليس من مقولة الألفاظ، وإنّما من مقولة الأعيان الخارجية، وقد أشارت لذلك جملة من الروايات.

٤. يطلق على الأسماء اللفظية: أسماء الأسماء، وعلى الأسماء التكوينية: الأسماء.

٥. تنقسم الأسماء الإلهية التكوينية إلى أسماء ذاتية وأخرى فعلية. والأسماء الذاتية هي الذات الإلهية مأخوذة مع صفة من الصفات الذاتية كاسم الحي والعليم والقدير.

أمّا الأسماء الفعلية فهي الذات الإلهية مأخوذة مع صفة من الصفات الفعلية، كاسم الخالق والرازق ونحوهما.

٦. تبين أنّ الأثر الخارجي يترتب على الاسم التكويني، لا على الاسم اللفظي.

٧. الأسماء الإلهية عامّة وخاصّة، والمقصود من العامّة هي الأسماء التي لها أثر أوسع وأكثر.

٨. الاسم الأعظم هو أكثر وأوسع الأسماء الإلهية أثراً ولا اسم أوسع منه أثراً.

الاسم اللفظي للاسم الأعظم هو لفظ الجلالة «الله».

٩. الاسم المستأثر هو الجهة غير المتناهية للأسماء والذات الإلهية، ولا يمكن أن يوجد للاسم المستأثر مظهر وآية في عالم الإمكان لكونه غير متناهٍ ولا محدود.

الفصل الثالث

الولاية التكوينية لرسول الله

صلى الله عليه وآله

هنالك عدّة طرق يمكن من خلالها إثبات الولاية التكوينية للنبيّ صلّى الله عليه وآله وقدرته على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة ومن أهمّ هذه الطرق:

الطريق الأول:

علم النبيّ صلّى الله عليه وآله بالكتاب

تقدّم آنفاً أنّ منشأ القدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة هو العلم بالكتاب كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِنِّي عَلَيْكَ بِخَافِئِ السَّيِّئَاتِ مِن قَبْلُ﴾ (١) حيث نقل آصف عرش بلقيس في أقلّ من لحظة زمانية، مع أنّ آصفاً عليه السلام لم يحصل إلّا على جزء من علم الكتاب كما هو واضح من تعبير الآية المباركة (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ)، وعلى هذا الأساس نقول إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد حاز علم جميع ما في الكتاب فتثبت ولايته التكوينية وقدرته على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة بدرجة موازية لعلمه بالكتاب.

(١) النمل: ٤٠.

لكي يتّضح الدليل على علم النبيّ بالكتاب ينبغي تقديم المقدمات التالية:

المقدمة الأولى: إنّ للقرآن الكريم مراتب

وقبلولوج في هذا البحث ينبغي بيان العوالم السابقة لعالم المادّة. فقد أثبتت الأبحاث الفلسفية أنّ الله تعالى خلق قبل عالم المادّة عوالم أخرى أطلقوا عليها اسم المثال المنفصل وعالم العقل ونحوها، وهذا المعنى أشار إليه الطباطبائي في نهاية الحكمة بقوله: «إنّ عوالم الوجود الكلية ثلاثة: عالم التجردّ التام العقلي، وعالم المثال، وعالم المادّة والمادّيات، فالعالم العقلي مجرّد تامّ ذاتاً وفعلاً عن المادّة وآثارها، وعالم المثال مجرّد عن المادّة دون آثارها من الأشكال والأبعاد والأوضاع وغيرها...»^(١) ونحن لسنا بصدد إحصاء عدد هذه العوالم، بل البحث في هذه العوالم يدور بقدر ما يلامس بحثنا، وما نتوخاه هو أنّ هناك عوالم أخرى غير عالم المادّة.

خصائص العوالم الوجودية

تمتاز العوالم الوجودية بخصائص متعدّدة منها:

- ١- السبق واللاحق، بمعنى أنّ بعضها سابق على الآخر، وفق ترتيب تكويني لا يتغيّر. فالأول عالم العقل ثم عالم المثال ثم عالم المادّة.
 - ٢- الترتيب العليّ بينها، بمعنى أنّ كلّاً منها علّة في الفيض لما تحته، فعالم العقل علّة لعالم المثال، وعالم المثال علّة لعالم المادّة.
- ويمكن تلخيص خصائص هذه العوالم بما يلي:

(١) نهاية الحكمة، مصدر سابق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥ هـ: ص ٣٧٦.

أولاً: أنّ العوالم الثلاثة مترتبة وجوداً بالسبق واللاحق، فعالم العقل قبل عالم المثال، وعالم المثال قبل عالم المادة وجوداً، وذلك لأنّ الفعلية المحضة التي لا تشوبها قوّة ولا يخالطها استعداد، أقوى وأشدّ وجوداً مما هو بالقوّة محضاً كالهوى الأولى، أو تشوبه القوّة ويخالطه الاستعداد كالطباع المادّية، فعالم العقل والمثال يسبقان عالم المادة.

وثانياً: إنّ الترتيب المذكور بين العوالم الثلاثة ترتيب عليّ؛ لمكان السبق والتوقّف الذي بينها، فعالم العقل علّة لعالم المثال، وعالم المثال علّة مفيضة لعالم المادة.

وثالثاً: إنّ العوالم الثلاثة متطابقة متوافقة نظاماً، بما يليق بكلّ منها وجوداً؛ وذلك لما تقدّم أنّ كلّ علّة مشتملة على كمال معلولها بنحو أعلى وأشرف. ففي عالم المثال نظام مثالي يضاهي نظام عالم المادة وهو أشرف منه، وفي عالم العقل ما يطابق نظام المثال، لكنه موجود بنحو أبسط وأشرف وأجمل منه.

ورابعاً: إنّ ما من موجود ممكن مادّي أو مجرّد علويّ أو سفليّ إلاّ هو آية للواجب (تعالى) من جميع الوجوه يحكي بها عنده من الكمال الوجودي كمال الواجب تعالى.

ولعلّ أوضح نصّ قرآني يدلّ على وجود تلك العوالم هو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَ خَزَائِنِهِ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾^(١)، ومعنى الخزائن - كما جاء في مجمع البحرين - : «خزائن الله: غيوب الله، سمّيت

(١) الحجر: ٢١.

(خزائن) لغيوبها واستتارها. وخزن المال: غيَّبه، يقال خزنت المال واختزنته من باب قتل: كتمته، وجعلته في المخزن... أي كتمته»^(١)

وبهذا يكون معنى الآية أنَّ ما من شيء في عالمنا المادّي إلّا وله وجود في تلك الخزائن ولم ينزل منه إلّا بقدر محدود.

وبعد بيان هذه المقدّمة، ندخل في البحث عن مراتب القرآن الكريم.

الدليل على أن للقرآن مراتب

بناء على ما نصّت عليه الآية المباركة ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ الذي يفيد الشمول لكلّ شيء، تكون الآية شاملة للقرآن الكريم بمعنى أن القرآن الكريم هو تنزّل لما موجود في الخزائن الإلهية.

وقد أوضح هذا المعنى ببيان وجيز الطباطبائي بقوله: «إنّ ظاهر قوله (وإن من شيء) على ما به من العموم بسبب وقوعه في سياق النفي مع تأكيد بـ(من) كلّ ما يصدق عليه أنّه شيء من دون أن يخرج منه إلّا ما يخرج نفسه السياق، وهو ما تدلّ عليه لفظة (نا) و(عند) و(خزائن) وما عدا ذلك مما يرى ولا يرى مشمول للعام»^(٢).

فالقرآن الكريم له مراتب متعدّدة، عبّر عنها باللوح المحفوظ والكتاب المبين ونحوها من التعبيرات، وهذا المعنى أشارت إليه الروايات بالقول إنّ للقرآن ظهراً وبطناً.

وأدنى هذه المراتب هو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وفي هذا السياق

(١) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ج ١ ص ٦٤٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٢ ص ١٤٣.

يكتب صدر الدين الشيرازي: «إن للقرآن درجات ومنازل كما للإنسان، وأدنى مراتب القرآن وهو ما في الجلد والغلاف كأدنى مراتب الإنسان وهو ما في الإهاب والبشرة»^(١).

وقد أوضح القرآن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿حَمَّ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾^(٢) فإنه ظاهر في أن هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقروءاً عربياً، وإنما ألبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس وإلا فإنه - وهو في أم الكتاب - عند الله، عليّ لا يصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل.

إذاً للقرآن الكريم موطن في الكتاب المكنون، لا يمكن لأحد أن يصل إليه إلا من طهرهم الله تعالى.

الموقف الروائي تجاه مراتب القرآن

هنالك حشد وافر من روايات الفريقين عبّرت عن هذه المراتب بأن للقرآن ظهراً وبطناً؛ منها:

١ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما من حرف إلا وله تأويل»^(٣).

٢ - عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «للقرآن ظاهر وباطن ومحكم ومتشابه

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مصدر سابق: ج ٣ ص ٣٩.

(٢) الزخرف: ١ - ٤.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٣٣ ص ١٥٥.

وناسخ ومنسوخ»^(١).

٣ - عن الفضيل بن يسار قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية (ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع)، ما يعنى بقوله (لها ظهر وبطن)؟ قال: ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾»^(٢).

٤ - وفي المحاسن: «قلت: وللقرآن بطن وظهر؟ فقال: نعم، لأن لكتاب الله ظاهراً وباطناً وناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً وسنناً وأمثالاً ووصلاً وأحرفاً وتصريفاً...»^(٣). ونحوها من الروايات^(٤).

إن هذه المسألة - كما هو معلوم - لا تقتصر على التراث الشيعي فقط، بل تتخطاها إلى أحاديث الفريق الآخر. فهناك عدّة من الروايات منها:

ما أخرجه الطبري في تفسيره: «أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً وحدّاً ومطلعا»^(٥).

وما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن بن مسعود أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن»^(٦).

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف: ج ٢ ص ٦٠٥ - ٦٠٩.

(٢) تفسير العياشي، مصدر سابق: ج ١ ص ١١.

(٣) المحاسن، مصدر سابق: ص ٢٧٠ ح ٣٦٠.

(٤) انظر: بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٨٩ ص ٩٣، باب: إن للقرآن ظهراً وبطناً.

(٥) جامع البرهان، الطبري: ج ١ ص ٩.

(٦) صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣ م: ج ١ ص ٢٧٦.

قال المناوي: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»... و في رواية: لكل آية منها ظهر وبطن، فظهره ما ظهر تأويله وعرف معناه وبطنه ما خفي تفسيره وأشكل فحواه... قال ابن عربي: اغطس في بحر القرآن إن كنت واسع النفس وإلا فاقصر على مطالعة كتب التفسير لظاهره ولا تغطس، فتهلك فإن بحر عميق، ولولا قصد الغاطس للمواضع القريبة من الساحل ما خرج لكم أبداً، فالأنبياء والورثة هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمة بالعالم.

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف، لا يناقض السبعة بجواز أن الله أطلعه أولاً على القليل، ثم الكثير...» قال الحاكم: «صحيح ولا علة له»، وأقره الذهبي^(١).

والحاصل:

١- إن للقرآن الكريم مراتب متعددة أطلق عليها اللوح المحفوظ أو الكتاب المبين أو أم الكتاب ونحوها، مضافاً إلى تعبير الروايات عن ذلك بالظهر والبطن.

٢- إن التنزيل من تلك الخزائن إنما هو بقدر معلوم، كما نصت على ذلك الآية المباركة: ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

المقدمة الثانية: نزول القرآن على نحوين

إلا أن النقطة المهمة التي تجدر الإشارة إليها: ما المقصود من الإنزال والتنزيل؟ فحينما يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾^(٢) ويقول:

(١) فيض القدير في شرح الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٣ ص ٧١.

(٢) الدخان: ٣.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١)، فهل المراد هو النزول المكاني، أي كان في مكان عال ثم أنزله الله تعالى من ذلك المكان، أم أن هناك حقيقة أخرى لتنزّل القرآن الكريم؟

إنّ القرآن الكريم له ضربان من النزول أحدهما النزول بنحو التجافي والآخر بنحو التجلي.

١. النزول بنحو التجافي. وهذا النوع من التنزل لا يمكن تصوّره إلا في عالم المادّة، فقط؛ لأنّ من أهمّ خصائص هذا النزول هو أنّ الشيء إذا كان في أعلى فهو غير موجود في الأسفل وبالعكس، وهذا من خصوصيات عالم المادّة، وقد استخدم القرآن الكريم هذا اللون من النزول في قوله تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٢) أي ترتفع جنوبهم عن الفراش.

قال فخر الدين الطريحي في معنى الآية: «ترتفع وتنبو عن الفراش، يقال: تجافى جنبه عن الفراش إذا لم يستقرّ عليه من خوف أو وجع»^(٣).

٢. النزول بنحو التجلي. وهذا النوع من النزول، يتميز بخصوصية، وهي أنّ الشيء المنزل إذا تنزل فهو لا يفقد وجوده في مرتبته الأولى. فالفكرة التي في ذهن الإنسان، مثلاً، إذا نقلها إلى الآخرين أو كتبها

(١) القدر: ١.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) تقرير غريب القرآن، فخر الدين الطريحي، تحقيق محمد كاظم الطريحي، طبعة زاهدي، قم - إيران: ص ١٨.

على الورقة، فهذا لا يعني أنه فقد علمه بها، بل لا تزال الفكرة محتفظاً بوجودها في الذهن، نعم تختلف الفكرة في الذهن عما هي عليه في الورق في المرتبة الوجودية.

وهذا المعنى واضح في صعود الإنسان وتسلقه في سلم الكمال الإلهي، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمُلْقِيهِ﴾^(١). فإذا صعد الإنسان مرتبة وجودية أعلى، فلا يعني أنه فقد مرتبته السابقة.

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَبَّاسَهُ الْكَافِرَ دَعَا﴾^(٢).

النتيجة: إن نزول القرآن الكريم إنما كان بنحو التجلي على وفق القاعدة التي تحدثت عنها الآية المباركة ﴿وَلَا يَنْفَعُ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(٣). فالقرآن الكريم نزل من تلك المرتبة الغيبية التي هي أصل كل الأشياء، وعلى هذا فالقرآن محفوظ في مراتب عليا، عبّر عنه تارة باللوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^(٤) وتارة أخرى بالكتاب المكنون كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٥) أو بالكتاب الحفيظ كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾^(٦).

(١) الانشقاق: ٦.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) الحجر: ٢١.

(٤) البروج: ٢١-٢٢.

(٥) الواقعة: ٧٧-٧٩.

(٦) ق: ٤.

ومن المراتب العليا التي تعدّ مرجعاً لكل المراتب مرتبة أم الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾^(١).

المقدمة الثالثة: من خصائص الكتاب المبين أنه تبيان لكل شيء

وقد نصّت على ذلك عدّة نصوص قرآنية منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٤)، فالآية دالة على أن أرزاق جميع أنواع الدوابّ وفي أيّ مكان كانت، كلّها في كتاب مبين.

٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٥) وهو صريح على إحاطة علمه تعالى بما في الصدور وما تخفي النفوس وما

(١) الزخرف: ٤.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) يونس: ٦١.

(٤) هود: ٦.

(٥) النمل: ٧٥.

يعلنون.

٥- قوله تعالى: ﴿عَمَّا أَثَارَ تَرْجَاهُمْ﴾^(١).

٦- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَ كُفْرًا عِلْمِ الْغَيْبِ لَا يَعُزُّبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢) وغير ذلك من الآيات التي تكشف وتدلل على أن الكتاب المبين يضم بين أحشائه كل شيء.

فكل ما في عالم الإمكان جعله تعالى في ذلك الكتاب المبين، فهو بمثابة برنامج عمل يهتد به لكل المخلوقات.

وهذا المعنى يقرره الطباطبائي بقوله: «وقد دلت الآية على أن هذه الأمور في كتاب مبين، فما هو الذي منها في كتاب مبين؟ أهو هذه الأشياء من جهة شهادتها وغيبها جميعاً أم هي من جهة غيبها فقط؟ وبعبارة أخرى: الكتاب المبين أهو هذا الكون المشتمل على أعيان هذه الأشياء لا يغيب عنه شيء منها وإن غاب بعضها عن بعض أم هو أمر وراء هذا الكون مكتوبة فيه هذه الأشياء نوعاً من الكتابة، مخزونة فيه نوعاً من الخزن، غائبة من شهادة الشهداء من أهل العالم، فيكون ما في الكتاب من الغيب المطلق. وبلطف آخر: الأشياء الواقعة في الكون المحدودة بنحو العموم في الآية أهي واقعة بنفسها في الكتاب المبين كما تقع الخطوط بأنفسها في الكتب التي عندنا أم هي واقعة بمعانيها فيه كما تقع المطالب الخارجية بمعانيها بنوع من الوقوع في ما نكتبه من الصحائف والرسائل ثم تطابق الخارج مطابقة العلم

(١) الحديد: ٢٢.

(٢) سبأ: ٣.

العين؟».

ثم يجيب على هذا التساؤل بقوله: «لكن قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يدل على أن نسبة هذا الكتاب إلى الحوادث الخارجية نسبة الكتاب الذي يكتب فيه برنامج العمل إلى العمل الخارجي، ويقرب منه قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وقوله: ﴿لَا يَعْرِزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وقوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ إلى غير ذلك من الآيات...»^(١).

فالكتاب المبين يحتوي على كل شيء ولا يعزب عنه شيء، فيشتمل على دقائق الأشياء ويضبط حدودها، بل يضبط جميع ما هو كائن دون أن تشد عنه غائبة.

ومن جميع ذلك يتضح سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل الأشياء صغيرها وكبيرها كثيرها وقليلها، وأن كل الموجودات الحادثة موجودة بجميع مشخصاتها في الكتاب المبين.

المقدمة الرابعة: القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين

بناء على فتح باب المعرفة من قبل الله تعالى، لأجل تعرف المخلوقات على الخالق وصفاته الجمالية؛ لا بد من وجود آية وعلامة وأثر يكشف عن

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٧ ص ١٢٤.

صفاته تعالى؛ إذ من دون العلامية والأثر سوف ينسدّ باب المعرفة به تعالى وبصفاته؛ لاستحالة الوصول إلى كنه ذاته تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(١)، ومن هنا نجد الأئمة عليهم السلام أرشدوا الناس إلى معرفة الله تعالى من خلال تجلياته الظاهرة في مخلوقاته تعالى.

فالله تعالى خلق للناس علامات وآيات وتجليات، تدلّ على حكمته وقدرته وعلمه، ومن دون هذه الآيات والعلامات يتعذّر معرفة الخالق ومن ثمّ تتعذّر بل تستحيل عبادته، لأنّ العبادة فرع المعرفة، فمن دون معرفة الناس بخالقهم وبارئهم لا يمكن أن يعبدوه ويتوجّهوا إليه. وهذا قانون عامّ لكلّ العوالم الخارجة عن عالم المادّة، فكلّ ما موجود في تلك العوالم لابدّ أن يوجد له علامة وآية تدلّ عليه في عالمنا المادّي.

والنتيجة التي نرسو إليها - بناء على قانون العلامية والآية - هي أنّ القرآن الكريم الموجود بين أيدينا والذي نزل على قلب الخاتم صلّى الله عليه وآله آية وعلامة للكتاب المبين الذي فيه علم كلّ شيء والذي لا يضلّ ولا ينسى.

فالقرآن الكريم مظهر للعلم الإلهي والقدرة الإلهية والعظمة الإلهية، وحيث إنّ الحقّ تعالى لا مجال للبطلان إليه؛ لأنّه حقّ محض كذلك القرآن الكريم لا مجال للبطلان أو الضلالة إليه، وهذه الحقيقة لخصتها الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام حينما قال: «إنّ الله تعالى تجلّى لخلقه في

(١) طه: ١١٠.

كتابه ولكنهم لا يبصرون»^(١) وفي رواية أخرى «تَجَلَّى لعباده في كلامه»^(٢).
 إذاً القرآن الكريم تجلَّى للحقِّ تعالى على خلقه، نعم هذا التجلَّى على
 مستوى الوجود اللفظي.

المقدمة الخامسة: القرآن الكريم فيه تبيان كل شيء

من الأبحاث الحرّية بالاهتمام: اكتناز القرآن الكريم على علم وتبيان
 كل شيء، وهذه الحقيقة تبدو شاخصة للعيان إذا طالعنا الآيات المرتبطة في
 المقام من قبيل قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣).
 ومن الجدير بالذكر نقول إنّ هذه الآية من أهم الآيات التي استقطبت
 اهتمام الباحثين والمتكلمين على حدّ سواء، حيث استفيد من عبارة (كلّ
 شيء) الظاهرة في العموم والشمول أنّ القرآن الكريم متضمّن لكلّ
 المعارف والعلوم.

ومن الواضح أنّ المراد بـ «الكتاب» هو القرآن الكريم، لأنّ الألف
 واللام للعهد الذكري أي المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند
 المسلمين هو القرآن، وعلى هذا فيكون المراد من الكتاب في هذه الآية هو
 القرآن الكريم.

ويؤيّد ذلك ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة
 استدلاله بهذه الآية الكريمة على شمولية القرآن، حيث قال: «أم أنزل الله ديناً

(١) عوالي اللآلئ، ابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، طبعة سنة
 ١٤٠٣هـ: ج ٣ ص ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٨٩ ص ١٠٧.

(٣) النحل: ٨٩.

ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(١) فيه تبيان كل شيء» فحمل عليه السلام لفظ «الكتاب» في الآية على القرآن الكريم نفسه.

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الحقيقة بقوله: «القرآن المجيد [الكتاب] لما كان كتاب هداية يهدي إلى صراط مستقيم على أساس بيان حقائق المعارف التي لا غنى عن بيانها في الإرشاد إلى صريح الحق ومحض الحقيقة، لم يفرط فيه في بيان كل ما يتوقف على معرفته سعادة الناس في دنياهم وآخرتهم، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾»^(٢).

وقال الألوسي: «المراد من الكتاب القرآن، واختاره البلخي وجماعة فإنه ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا، بل وغير ذلك مفصلاً»^(٣).

معالجة التباس

قد يقال إنَّ الوارد من كون القرآن تبياناً لكل شيء يختص في ما يرتجى منه وهو هداية الإنسان، وهي الهدف والغرض من نزول القرآن الكريم.

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) تفسير روح المعاني، مصدر سابق: ٧ ص ١٤٤.

والجواب: هنالك عدد وافر من الروايات^(١) الواردة عن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فسّرت المراد من قوله تعالى «تبيان لكل شيء» بأن القرآن الكريم متضمّن لعلم كل شيء وفيه كل شيء، إلا أن ذلك لا يعني أن علم كل شيء موجود في مرتبة القرآن الظاهرية وفي عالم الألفاظ واللغة؛ لأن القرآن الكريم لا ينحصر في الظاهر فقط وإنما له بطون ومراتب أخرى لا يمكن الوصول إليها من طريق الألفاظ ومعاني اللغة؛ لذا ورد عنهم عليهم السلام أنه لم يجمع القرآن إلا الأئمة عليهم السلام، وهذا لا يعني أن القرآن ناقص وغير مجموع عند المسلمين، وإنما المراد بذلك هو أن القرآن بجميع مراتبه (ظاهره وباطنه، تنزيله وتأويله) عند الرسول الأكرم صَلَّى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وهو ما أشارت إليه الآيات الكريمة كقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ وقوله ﴿إِنَّهُ لَفَرَزٌ نَزَّ﴾ وقوله ﴿فِي لَوْحٍ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي أشارت إلى هذه الحقيقة.

ومن مجموع ما تقدّم يتّضح أن القرآن الكريم تبيان لكل شيء. النتيجة أن النبي صَلَّى الله عليه وآله حاز على علم جميع ما في الكتاب المبين. التوضيح: بما أن القرآن الكريم نزل على قلب النبي صَلَّى الله عليه وآله وأن القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين الذي فيه كل شيء - كما تمّ توضيحه في المقدمات السابقة - يتّضح أن النبي صَلَّى الله عليه وآله لديه علم جميع ما في الكتاب المبين، وقد صرّحت النصوص القرآنية والروائية بهذه الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى

(١) سوف يأتي عند بيان الدليل على علم أهل البيت عليهم السلام بالكتاب.

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ^(١).

وكذا قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢). وقد تقدّم في الفصل الثاني تقريب الاستدلال بهذه الآية على أنّ الكتاب المبين لا يمسه (أي لا يعلمه) إلا المطهّرون، ومن الواضح أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله من أقرب مصاديق المطهّرين.

النبيّ ﷺ له الولاية التكوينية لعلمه بما في الكتاب

ومما تقدّم يتّضح أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لديه الولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في التكوين لامتلاكه علم الكتاب الذي هو منشأ وسبب القدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة، كما تقدّم في الفصل الأول أنّ منشأ القدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة هو العلم بالكتاب.

(١) الشعراء: ١٩٢-١٩٥.

(٢) الواقعة: ٧٧-٧٩.

الطريق الثاني:

وجود الاسم الأعظم عند النبي صلى الله عليه وآله

يبتني هذا الاستدلال على مقدمتين هما:

المقدمة الأولى: من ملك الاسم الأعظم يتصرف في التكوين بنحو معجز.

وهذه المقدمة تقدّم الحديث عنها في الأبحاث السابقة.

المقدمة الثانية: النبي صلى الله عليه وآله مظهر الاسم الأعظم.

في ضوء ما سلف من أنّ لكل اسم من الأسماء الإلهية مظهراً في مخلوقاته، نعود مجدداً لنتساءل ما هو مظهر الاسم الأعظم - الذي هو الذات الإلهية مأخوذة مع جميع الكمالات -؟

ولكي يتضح من هو مظهر الاسم الأعظم لا بدّ - أولاً - من بيان كيفية خلق الله تعالى لهذا العالم.

إنّ الله تعالى خلق هذا العالم على مرتبتين وجوديتين إحداهما مرتبة عينية يطلق عليها عالم الملكوت أو عالم الغيب أو عالم الأمر، وهذه المرتبة لا يمكن الوقوف عليها بواسطة أدوات الحسّ ولا تخضع لقوانين عالم المادة من الزمان والمكان والحركة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ

مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾.

والمرتبة الأخرى يطلق عليها عالم الشهادة أو المادّة أو الملك وتمثّل نشأتنا الأرضية، وهي خاضعة لنظام عالم المادّة من الزمان والمكان والحركة والخروج من القوّة إلى الفعل، وكلا المرتبتين - الملك والمملوكوت - بيده تعالى، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿فَسُبِّحْنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣).

فإذا اتّضح هذا البيان المختصر نقول: إنّ مظهر الاسم الأعظم في مرتبة المملوكوت هو نور النبي الأعظم وأهل بيته عليهم السلام.

ويمكن الاستدلال على مستوى النصوص القرآنية تارة وأخرى على مستوى النصوص الروائية على أنّ مظهر الاسم الأعظم في مرتبة المملوكوت هو نور النبي صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام، وفي مرتبة الملك هو شخص النبي وأهل بيته عليهم السلام في جنباتهم البشرية.

الدليل القرآني على أنّ النبي وأهل بيته مظاهر الاسم الأعظم

لعلّ أبرز نصّ قرآني يمكن الاستدلال به على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته مظاهر الاسم الأعظم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) الملك: ١.

(٣) يس: ٨٣.

(٤) البقرة: ٣٠-٣٤.

ولكي يتّضح المطلوب لابدّ من بيان المفاهيم الواردة في الآية الكريمة:

١. مفهوم الخلافة: الخلافة لغة: هي النيابة عن الغير. قال الراغب في المفردات: «خلف فلان فلاناً: قام بالأمر عنه، إمّا معه وإمّا بعده... والخلافة نيابة عن الغير إمّا لغيبه المنوب عنه، وإمّا لموته وإمّا لعجزه».

ومن الواضح أنّ جميع هذه الوجوه وهي الخلافة بمعنى النيابة عن الغير إمّا لغيبه المنوب عنه، وإمّا لموته أو لعجزه، بمعنى لا تجوز على الله تعالى، لأنّه سبحانه ليس بغائب، وإنّما هو شاهد على كلّ شيء كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١) كذلك لا معنى أن تكون الخلافة عن الله تعالى نيابة عن الميت، لأنّ الله تعالى هو الحي الذي لا يموت ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢). ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(٣).

كذلك لا يمكن أن تكون خلافته تعالى عن عجز، لأنّه القادر على كلّ شيء؛ قال تعالى: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤). ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾^(٥).

وبهذا يتّضح بطلان جميع المعاني المتقدمة للخلافة، مما يكشف عن أنّ المراد بالخلافة الإلهية سنخ آخر من الخلافة وهو كون الخلافة الإلهية مظهراً لأسماؤه تعالى كما سيّضح من البحوث اللاحقة إن شاء الله تعالى.

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) الفرقان: ٥٨.

(٤) البقرة: ٢٥٩.

(٥) فاطر: ٤٤.

٢. المستخلف هو الله تعالى: اختلف المفسرون في من هو المستخلف الذي جعل خليفة في الأرض، فذهب بعضهم إلى أنه ربما كان في الأرض قوم آخرون كالجنّ أو غيرهم^(١)، وجاء الإنسان ليكون خليفة لهم. إلا أن الصحيح هو أن المستخلف هو الله تعالى وذلك لعدة قرائن.

القرينة الأولى: لو كان المقصود بالخلافة في الآية المباركة هي خلافة إنسان لموجود أرضي قبله، فهذا لا يتلاءم مع تساؤل الملائكة واستفهامهم كما في قول تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا... وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فقد تساءلت الملائكة عن سبب جعل خليفة يفسد في الأرض ويسفك الدماء، ومن الواضح أن هذا التساؤل يكشف عن أن الملائكة قد فهموا أن المستخلف لهذا الخليفة هو الله تعالى وأن هذا الموجود الأرضي - وهو الإنسان - سنخ موجود يمكن أن يصدر منه الفساد وسفك الدماء، وحيث إن الله تعالى منزّه عن الشرّ والفساد ونحوهما، فيكون هذا الخليفة غير متلائم وغير منسجم مع فعل الله تعالى المنزّه عن الشرّ والفساد، ومن هنا جاء سؤال الملائكة الاستفهامي بأنّ هذا الخليفة يفعل الفساد ويسفك الدماء، وهو ينافي فعل الله تعالى المنزّه عن الشرّ.

وهذه القرينة تعدّ خير دليل على أن هذه الخلافة عن الله تعالى، لا خلافة إنسان لمخلوق آخر.

القرينة الثانية: إن إطلاق لفظ الخليفة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي

(١) نقل هذا الوجه الفخر الرازي بقوله: «لما نفى الله سبحانه الجنّ من الأرض وخلق آدم... الوجه الآخر عليه» انظر التفسير الكبير للفخر الرازي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٦٥.

أَلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿ من دون إشارة وإضافة إلى المخلوق، يؤكد أن الإنسان خليفة لمن جعله وهو الله تعالى وليس خليفة عن قوم آخرين. وهذا نظير ما لو قال رئيس الدولة مثلاً: «إني جاعل في المكان الفلاني خليفة»، فإنّ المفهوم العرفي هو كون هذا الخليفة لرئيس الدولة نفسه، لا لغيره.

فحينما يقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فإنّ المفهوم العرفي منها هو خليفة لله تعالى لا لغيره.

٣. المراد بالعلم في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾: تقدّم في مطاوي البحوث السابقة أنّ العلم ينقسم إلى قسمين أحدهما العلم الحصولي وهو العلم الحاصل من المفاهيم والصور الذهنية. فالحاضر عند العالم هو صورة المعلوم ورسمه، والآخر العلم الحضورى وهو أن يكون المعلوم ذاته حاضراً عند العالم، فمثلاً: علمي بنفسي علم حضورى لأنّ نفسي ذاتها حاضرة عند نفسي، أمّا بالنسبة للموجودات الأخرى فعلمي بها حصولي، لأنّ الحاضر لدى الذهن هو صورتها فقط.

وعلى هذا الأساس يطرح السؤال التالي: ما هو العلم الذي تعلّمه خليفة الله وإنبائه الملائكة؟

من الواضح أنّ المراد بالعلم الذي تعلّمه خليفة الله هو علم حضورى، والشواهد الدالة على ذلك تكشف بوضوح أنّ المراد بالعلم الذي تعلّمه خليفة الله هو العلم الحضورى دون الحصولي، ومن هذه الشواهد:

١- إنّ ذلك العلم الذي تعلّمه خليفة الله تعالى قد أوجد امتيازاً على الملائكة، حيث صار منشأً لسجود جميع الملائكة لذلك الخليفة.

فلو كان المراد بذلك العلم هو العلم الحصولي، لما حصل ذلك الامتياز

لخليفة الله تعالى، لأنّ العلم الحسولي لا يكون منشأً للامتياز كما تقدّم. فبالعلم الحسوري الذي حصل عليه خليفة الله تعالى أصبح مؤهلاً لأنّ تسجد له الملائكة أجمعون كما في قوله تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(١)، فليس كون هذا الخليفة الإلهي من حيث مادّته التي هي صلصال من حمأ مسنون استحقّ سجود الملائكة له.

٢- إنّ العلم الذي حصل عليه خليفة الله تعالى لم تتمكّن الملائكة أن تتعلّمه. ومّا يشهد لذلك استبدال الباري تعالى التعبير في الآية المباركة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ من «التعليم» إلى التعبير «بالإنباء» كما في قوله تعالى: ﴿كَأَدَمَ أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(٢) ومن الواضح أنّ استبدال صيغة التعبير في الآية من التعليم إلى الإنباء لم يكن لأجل التفنّن في التعبير، لأننا بإزاء كلام الله تعالى الذي لا يوجد فيه شيء من هذا القبيل، إلّا أنّ يكون له مغزى وغاية.

فالتعبير بـ«عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ» هو للدلالة على أنّ تعليم آدم عليه السلام للأسماء لأجل كونه عليه السلام على استعداد لتحمل هذا السنخ من العلم، بخلاف الملائكة الذين لا تؤهّلهم درجتهم ومرتبتهم الوجودية من تعلّم ذلك العلم بالأسماء، لذا كان لهم الاطلاع على الواقعة فحسب.

٣- إنّ الأسماء التي تعلّمها آدم عليه السلام أسماء ذو حياة وعلم وشعور وعقل، والدليل على ذلك هو مجيء التعبير في الآية بالضمير (هم) في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ والتعبير باسم الإشارة «هؤلاء» في قوله تعالى: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾.

(١) الحجر: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٣.

ومن الواضح أنّ الضمير «هم» لا يستعمل في اللغة إلا للجمع العاقل وأن اسم الإشارة «هؤلاء» يستعمل للحيّ العاقل الحاضر.

من هذا يتبين أنّ المراد بالأسماء التي تعلّمها خليفة الله تعالى هي أسماء ذات عقل وشعور، وليست مجرد علم بالألفاظ أو المفاهيم أو معاني الألفاظ. ولو كان المراد بتلك الأسماء هي الألفاظ أو معانيها وهي المنشأ للخلافة الإلهية، للزم أن يكون الملائكة صالحين للخلافة أيضاً بعد أن أنبأهم آدم بالأسماء، ومن ثمّ يكونون في درجة ورتبة واحدة مع خليفة الله تعالى، لا أن يسجدوا له بفضيلة علمه بهذه الأسماء.

وهذه الحقيقة يقرّها الطباطبائي بقوله: «إنّ العلم بأسمائهم كان غير نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلا كانت الملائكة بإنباء آدم إيّاهم بها عالمين وصائرين مثل آدم مساوين معه، ولم يكن في ذلك إكرام لآدم ولا كرامة حيث علّمه الله سبحانه أسماء ولم يعلمهم، ولو علّمهم إيّاها كانوا مثل آدم أو أشرف منه، ولم يكن في ذلك ما يقنعهم أو يبطل حجّتهم، وأيّ حجة تتمّ في أن يعلم الله تعالى رجلاً علم اللغة ثم يباهي به ويتمّ الحجّة على ملائكة مكرّمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، بأنّ هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكم؟ ويقول تعالى: أنبئوني باللغات التي سوف يضعها الآدميون بينهم للأفهام والتفهيم إن كنتم صادقين في دعواكم أو مسألتكم خلافتي»^(١).

ومن ثمّ يعطف العلامة الكلام لبيان البعد الوظيفي للغة التي هي وسيلة لإيصال المقاصد إلى القلوب حيث يقول: «إنّ كمال اللغة هو المعرفة بمقاصد القلوب، والملائكة لا تحتاج فيها إلى التكلّم، وإنّما تتلقّى المقاصد

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١، ص ١١٦.

من غير واسطة، فلهم كمال فوق كمال التكلم، وبالجملة فما حصل للملائكة من العلم بواسطة إنباء آدم لهم بالأسماء هو غير ما حصل لآدم من حقيقة العلم بالأسماء بتعليم الله تعالى، فأحد الأمرين كان ممكناً في حق الملائكة وفي مقدرتهم دون الآخر، وآدم إنما استحق الخلافة الإلهية بالعلم بالأسماء دون إنبائها؛ إذ الملائكة إنما قالوا في مقام الجواب: ﴿سُبْحَنكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾، فنفوا العلم^(١). وبهذه الشواهد يتبين أن العلم الذي حاز عليه خليفة الله تعالى هو سنخ علم خاص وليس من سنخ العلوم الحسولية.

٣. المراد بالأسماء التي تعلّمها خليفة الله تعالى: هنالك اختلاف بين المفسرين حيال المراد من الأسماء التي تعلّمها خليفة الله تعالى، وبناء على ما تقدّم من بيان طبيعة العلم الذي تعلّمه خليفة الله تعالى وأنه سنخ علم أوجد لآدم امتيازاً خاصاً جعله مؤهلاً لسجود الملائكة، يتّضح أن المقصود من الأسماء في الآية ليست هي الألفاظ أو معاني الألفاظ ونحو ذلك، وإنما هي أسماء ذات حياة وشعور وعقل وعلم - كما تقدّم بيان ذلك آنفاً - وهو واضح من التعبير بالضمير (هم) في قوله تعالى: ﴿يَكَادُمْ أَنْبِئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ والتعبير باسم الإشارة (هؤلاء) في قوله: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾.

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ بقوله: «جمع محلي باللام وهو يفيد العموم على ما صرحوا به مضافاً إلى أنه مؤكّد بقوله: كلّها، فالمراد بها كلّ اسم يقع لمسمّى ولا تقييد ولا عهد، ثم قوله: عرضهم، دالّ على كون كلّ اسم أي مسمّاه ذا حياة وعلم، وهو مع ذلك تحت حجاب الغيب، غيب السماوات والأرض.

(١) المصدر نفسه: ج ١، ص ١١٧.

وإضافة الغيب إلى السماوات والأرض وإن أمكن أن يكون في بعض الموارد إضافة «من» فيفيد التبويض، لكن المورد وهو مقام إظهار تمام قدرته تعالى وإحاطته وعجز الملائكة ونقصهم يوجب كون إضافة الغيب إلى السماوات والأرض إضافة اللام، فيفيد أن الأسماء أمور غائبة عن العالم السماوي والأرضي، خارج محيط الكون، و إذا تأملت هذه الجهات أعني عموم الأسماء وكون مسمياتها أولى حياة وعلم»^(١).

النتيجة: الخلافة الإلهية هي المظهرية والتجلي

من جميع هذه المقدمات - وهي أن الخلافة ليست من سنخ الخلافة المتعارفة، وأن المستخلف هو الله تعالى، وأن المراد بالعلم هو سنخ علم حضوري وأن الأسماء التي تعلّمها خليفة الله هي أسماء ذو حياة وعلم وشعور وعقل - يتّضح أن المراد بالخلافة هي الخلافة المظهرية والتجلي ليكون الخليفة مظهراً للذي استخلفه وآية له وتجلياً لأسمائه الحسنی وصفاته العليا، أي يكون حاكياً للمستخلف في شؤونه بالمقدار الممكن. بعبارة أخرى: لما كان الله تعالى له الأسماء الحسنی كلّها كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢) وله الكمالات العليا، فلا بد أن يكون الخليفة حاكياً عمّن استخلفه في صفاته وكمالاته. ولذا قالوا إن الخلافة وهي قيام شيء مقام آخر لا تتم إلا بكون الخليفة حاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف.

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١، ص ١١٨.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

المراد من خليفة الله هو الإنسان الكامل

لقد شهد البحث اختلافاً شديداً في تحديد المقصود من الخليفة الذي جعله الله في الأرض في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، فالبعض ذهب إلى أن المراد بخليفة الله تعالى هو النبي آدم عليه السلام أبو البشر، إلا أن هذا القول غير صحيح، بل المراد بالخليفة في الآية المباركة هو الإنسان الكامل الذي هو أفضل الأولين والآخرين وهو النبي صلى الله عليه وآله. والشاهد على ذلك هو ما تقدّم أن ذلك الخليفة الذي جعله الله تعالى قد علّمه سبحانه جميع الأسماء الإلهية، ومن الواضح أن الذي حصل على جميع الأسماء الإلهية هو ذلك الإنسان الكامل الذي لا يوجد أفضل وأكمل منه، لأنّه مظهر أسماء الله جميعاً ومظهر الاسم الأعظم، الاسم الذي يستجمع جميع الكمالات الإلهية.

مضافاً إلى أن النبي آدم أبا البشر لا يصحّ أن يكون هو الخليفة المقصود في الآية المباركة، لأنّه عليه السلام - كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى - حصل على أربعة حروف فقط من حروف الاسم الأعظم، أمّا نبينا صلى الله عليه وآله فقد وردت الروايات على أنّه حاز اثنين وسبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم، وهو ينسجم مع ما صرح به القرآن الكريم بأنّ الخليفة قد علمه تعالى الأسماء الإلهية كلّها.

وقد أشار عدد من المفسّرين إلى هذه الحقيقة منهم:

الآلوسي؛ قال: «وفهم من كلام القوم قدس الله تعالى أسرارهم أن المراد من الآية بيان الحكمة في الخلافة على أدق وجه وأكمل، فكأنّه - جلّ شأنه -

(١) البقرة: ٣٠.

قال: أريد الظهور بأسمائي وصفاتي ولم يكمل ذلك بخلقكم، فإني أعلم ما لا تعلمونه لقصور استعدادكم ونقصان قابليتكم، فلا تصلحون لظهور جميع الأسماء والصفات فيكم، فلا تتم بكم معرفتي ولا يظهر عليكم كنزي، فلا بد من إظهار من تمّ استعداده وكملة قابليته ليكون مجليّ لي ومرآة لأسمائي وصفاتي ومظهراً للمتقابلات فيّ، ومظهراً لما خفي عندي، وبني يسمع وبني يبصر وبني وبني^(١).

الشوكاني؛ في تفسيره قال: «ال خليفة ذات قائم بما يقوم به المستخلف على حسب مرتبة ذلك الخليفة منه ... وكلّ من استخلفه الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم فهو خليفة لكن لا حاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتنفيذ أمره. فإن قلت: ما حكمة إضافته إلى الله وهلا قال: الخليفة؟ قلت: هو إشارة إلى أنّه إنسان كامل قد تجلّى عن الرذائل وتجلّى بالفضائل^(٢). إذا اتّضح مما سبق أنّ الخليفة الإلهي هو الإنسان الكامل.

النبي صلى الله عليه وآله هو الإنسان الكامل

من أبرز الأدلة على أنّ النبي صلى الله عليه وآله هو الإنسان الكامل: دليل أفضليّته على جميع الأنبياء والمرسلين من الأوّلين والآخرين. فمن الحقائق المهمّة التي يسجلها القرآن الكريم تفاوت الرسل فيما بينهم في الفضل؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٣) وقال

(١) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٢٣.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير، الشوكاني: ج ١، ص ٣٦٣.

(٣) الإسراء: ٥٥.

تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١) وثمة حقيقة أخرى يسجلها القرآن الكريم أيضاً، نالت اتفاق المسلمين جميعاً، وهي أن أفضل الأنبياء هم أولو العزم من الرسل، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢) ومن المعلوم أن القرآن الكريم لم يقتصر على إطلاق مفهوم أولي العزم فحسب، بل حدّد لنا من هم أولو العزم وشخصهم بأسمائهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾^(٣) وهذه الحقيقة أيضاً موضع إجماع واتفاق المسلمين.

لكن السؤال: من هو أفضل الأنبياء مطلقاً؟

نقول: إن أفضل الأنبياء مطلقاً هو نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله. وهذا من الحقائق الإسلامية التي أجمع عليها المسلمون، بل لعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ أفضلية نبيّنا على جميع الأنبياء من البدييات والضرورات الإسلامية التي تعلو على البرهنة والاستدلال، إلّا أنّنا مع ذلك لم نهمل إقامة الاستدلال على هذه الحقيقة.

الأدلة على أفضلية نبيّنا صلى الله عليه وآله على جميع الأنبياء

هنالك عدّة من الأدلة القرآنية لإثبات هذه الحقيقة منها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

(٣) الأحزاب: ٧.

وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿فَقَدَّ عَدَّ اللَّهُ تَعَالَى أُولَى الْعِزْمِ عَلَى تَرْتِيبِ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنْ قَدَّمَ ذِكْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ آخِرُهُمْ زَمَانًا. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ تَقْدِيمَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَأْتِ جَزَافًا؛ إِذْ لَا مَوْضِعَ لِلجَزَافِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِمَّا يَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَةِ مَهْمَةٍ وَهِيَ فَضْلُهُ وَشَرْفُهُ وَتَقَدُّمُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ.

قال الألوسي في تفسير الآية: «تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجاً بيناً للإيدان بمزيد مزيّتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع، واشتهر أنهم هم أولو العزم من الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. وأخرج البزار عن أبي هريرة أنهم خيار ولد آدم عليهم الصلاة والسلام وتقديم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مع أنه آخروهم بعثة للإيدان بمزيد خطره الجليل أو لتقدمه في الخلق»^(١).

ويؤيد ذلك ما ورد في جملة من الروايات الصحيحة من الفريقين أن النبي صلى الله عليه وآله أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً:

• أخرج القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(٢) «عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن قوله تعالى: ﴿وَلِإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ قال: كنت أولهم في الخلق، وآخرهم في البعث»^(٣).

(١) روح المعاني، مصدر سابق: ج ٢١ ص ١٥٤.

(٢) الأحزاب: ٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق: ج ١٤ ص ١١٦.

قال الشوكاني: «حديث كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث له شاهد، صححه الحاكم بلفظ كنت نبياً»^(١).

وقال المناوي: «بأن جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت»^(٢). وهذا يكشف أن نور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله سبق وجود الأنبياء عليهم السلام.

• كما في حديث جابر بن عبد الله، قال: «قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير»^(٣).

• وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمت»^(٤).

• وأخرج الحاكم عن ميسرة الفخر، قال: «قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وشاهده حديث الأوزاعي^(٥). وقال الذهبي: صحيح^(٥).

وقال السيد الطباطبائي بعدما أورد هذه الأخبار: «والأخبار في هذه المعاني كثيرة، متضافرة. وأنت إذا أجلت نظرة التأمل والإمعان فيها وجدت

(١) الفوائد المجموعة، الشوكاني: ص ٣٢٦.

(٢) فيض القدير، مصدر سابق: ج ٥ ص ٥٣.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ١٥، ص ٢٤.

(٤) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق: ج ٢: ص ٦٦٥.

(٥) بهامش المستدرک علی الصحیحین: ج ٢، ص ٦٦٥.

شواهد على ما قدّمناه، وسيجيء شطر من الكلام في بعضها. وإياك أن ترمي أمثال هذه الأحاديث الشريفة الماثورة عن معادن العلم ومنابع الحكمة بأنّها من اختلافات المتصوفة وأوهامهم^(١).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٢). فمن الواضح أنّ التعبير بالبشارة لا يصدق إلّا على الخبر الذي يسرّ المبشّر، ولا تكون البشارة إلّا بالشيء المفقود عند المبشّر، وبشارة المسيح عليه السلام بظهور الإسلام فيها إشارة رائعة إلى أنّ ما عند الخاتم لو كان أقلّ مما عند السابقين أو مساوياً لما صدقت البشرى.

فالرسالة العيسوية التي تطلّ على الماضي والمستقبل، نراها من جهة تصدّق التوراة ككتاب منزل من الله تعالى، ومن جهة أخرى تبشّر بالرسول محمد صلى الله عليه وآله الذي يأتي بعدها.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾: «إشارة إلى الشطر الثاني من رسالته عليه السلام. وقد أشار إلى الشطر الأول بقوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾. ومن المعلوم أنّ البشرى هي الخبر الذي يسرّ المبشّر ويفرحه ولا يكون إلّا بشيء من الخير يوافيه ويعود إليه، والخير المترقّب من بعثة النبيّ ودعوته هو انفتاح باب من الرحمة الإلهية على الناس فيه سعادة دنياهم وعقباهم من عقيدة حقّة أو عمل صالح أو كليهما، والبشرى بالنبيّ بعد النبيّ وبال دعوة الجديدة بعد حلول دعوة سابقة واستقرارها - والدعوة الإلهية واحدة لا تبطل بمرور

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١، ص ١٢١.

(٢) الصف: ٦.

الدهور وتقضي الأزمنة واختلاف الأيام والليالي - إنما تتصور إذا كانت الدعوة الجديدة أرقى فيما تشتمل عليه من العقائد الحقّة والشرائع المعدّلة»^(١).

إذا الرسالة العيسوية تنقسم إلى شطرين، شطر أكّدت ما قبلها «وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ»، والشرط الآخر أنّه بشر بالخاتم صلّى الله عليه وآله.

فالبشرى من النبيّ عيسى عليه السلام واضحة في أنّ الرسالة الإسلامية أكمل الرسالات الإلهية السابقة وأفضلها، ليس فقط في الفروع وبيان الشريعة، بل هي الأفضل مطلقاً على مستوى الأصول والتوحيد الكامل لله سبحانه وتعالى، وإن كانت الرسالات السابقة داعية للتوحيد، ولكن الرسالة الإسلامية تميّزت بميزات جعلت من التوحيد قضية تعيش مع الإنسان ليس في وجدانه وقلبه فحسب، وإنما يعيش معها في كلّ حركة من حركاته وكلّ موقف من مواقفه، وكلّ فعل من أفعاله، وكلّ ممارسة من ممارساته. وهذا التوحيد تجسّد في النبيّ صلّى الله عليه وآله، لذا كان صلّى الله عليه وآله الأفضل مطلقاً.

ومن الجدير بالذكر أنّ البشارة بالنبيّ الخاتم لم تقتصر على النبيّ عيسى عليه السلام بل إنّ الله تعالى أخذ ميثاقاً وعهداً شديداً من الأنبياء على التبشير بالنبيّ محمد صلّى الله عليه وآله والتأييد والتصديق له كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢).

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٩ ص ٢٥٢.

(٢) آل عمران: ٨١.

فارتباط الرسائل والنبوءات واتصالها بعضها ببعض يكشف عن أن النبوة تسير سيراً تدريجياً نحو التكامل الذي تمثل في أرقى مراتبه في الرسالة الخاتمة التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فالخاتم هو الذي ختم مراتب الكمال كلّها.

وعلى هذا فنبينا صلى الله عليه وآله اجتاز جميع المراحل الكمالية وأرقى مراتب العبودية التي لا مجال معها لمرتبة أخرى ونبيّ جديد، ففي خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لم يخل سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم. من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله. على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء. إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لإنجاز عدته، وتمام نبوته. مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده...»^(١).

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢) فالخاتم يعني الوصول إلى الحدّ النهائي في مراتب الكمال والقرب الإلهي بما لا يترك أيّ مجال لإنسان بعده أن يحظى بها حظي به، فهو صلى الله عليه وآله قد بلغ الحدّ الأعلى من الكمال ونال الشرف الأسمى، وله درجة لم ولن يصلها أحد أبداً.

إذا فالنبيّ محمد صلى الله عليه وآله ليس أكمل البشرية والأنبياء السابقين فحسب، بل لا يمكن أن يأتي بعده إنسان يكون أكمل منه.

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ - ص ٢٤.

(٢) الأنعام: ١١٥.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(١).

ومحلّ الشاهد في هذه الآية الشريفة كلمة (مهيمنًا)، التي تطلق على الشيء الذي يحفظ ويرتّب ويؤتمن على شيء آخر، لذا قال الخليل الفراهيدي: الرجل يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء وشاهداً عليه وحافظاً. وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: «هيمنة الشيء على الشيء - على ما يتحصّل من معناها - كون الشيء ذا سلطة على الشيء في حفظه ومراقبته وأنواع التصرف فيه، وهذا حال القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه تبيان كلّ شيء بالنسبة إلى ما بين يديه من الكتب السماوية: يحفظ منها الأصول الثابتة غير المتغيرة وينسخ منها ما ينبغي أن ينسخ من الفروع التي يمكن أن يتطرّق إليها التغيّر والتبدّل ليناسب حال الإنسان بحسب سلوكه صراط الترقّي والتكامل بمرور الزمان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وقال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾^(٢). فالقرآن الكريم حافظ لجميع الشرائع السماوية السابقة ويشرف على صيانتها من الانحراف إشرافاً كاملاً، ويكمل تلك الكتب التي تلتقي في هدف واحد على الرغم من الفوارق الموجودة بينها، في تتبع من مقتضى التكامل التدريجي للإنسان، حيث إنّ كلّ شريعة جديدة ترتقي بالإنسان إلى مرحلة أسمى من مراحل الرقي والكمال الإنساني وتشتمل على خطط وبرامج أكثر شمولاً وتطوراً. ومن هيمنته عليها الحفاظ على أصولها الثابتة

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٥ ص ٣٤٨.

التي لا تتغير مع أيّ شريعة ومنها نسخ ما يجب نسخه إلى خير منه ليكون حكماً يناسب كلّ الأجيال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾. فالهيمنة معنوية لا مادية، والدليل على كون القرآن مهيمناً على جميع الشرائع والكتب السماوية السابقة هو قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

لذا في الرواية عن سعد الإسكاف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المثني مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبَيِّنْ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾»^(٢).

فالقرآن الكريم يحمل في طياته روح جميع التعليقات المؤقتة والمحدودة للكتب السماوية الأخرى، مضافاً إلى استغراقه وشموله لكلّ ما أراد الله تعالى أن يقوله إلى يوم الدين، فهو كتاب جامع لكلّ كتاب، كما أن رسوله يجمع في نفسه خيرات الرسل كلّها وزيادة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «وإنّ الله عزّ وجلّ جعل كتابي المهيم على كتبهم، الناسخ لهم، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا وبتحريم بعض ما حلّلوا»^(٣). ويؤيّد ما ورد عن علي بن عيسى رفعه قال: «إنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: يا موسى لا يطول في الدنيا أمّلك فيقسو

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٠؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ١٦ ص ٣٢٧.

(٣) نور الثقلين، الحويزي: ج ١ ص ٦٣٨.

لذلك قلبك... أوصيك يا موسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى ابن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهر، فمثله في كتابك أنه مؤمن مهيمن على الكتب كلها وأنه راعع ساجد، راغب، راهب، إخوانه المساكين وأنصاره قوم آخرون ويكون في زمانه أزل وزلزال وقتل، وقلة من المال»^(١).

فالخاتم مهيمن على من سبقه من الأنبياء؛ لأنه صلى الله عليه وآله بيده القرآن الذي هو مهيمن على جميع الكتب السابقة الذي فيه تبيان كل شيء.

وعن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال عليه السلام: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك؛ فإن الملائكة لخدّامنا وخدام محبينا، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ومعرفة ربنا عز وجل وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ٨ ص ٤٣.

واحداً استعظموا أمورنا فسبحنا لتعلم الملائكة أننا خلق مخلوقون وأنه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة لستبيحنا ونزّهته عن صفاتنا...»^(١).

قال الألوسي: «فهو عليه الصلاة والسلام الكامل المكمل للخلقة والواسطة في الإفاضة عليهم على الحقيقة، وكلّ من تقدّمه عصرًا من الأنبياء وتأخّر عنه من الأقطاب والأولياء نواب عنه ومستمدّون منه»^(٢).

الدليل الروائي على أن النبي وأهل بيته مظاهر الاسم الأعظم

هنالك روايات متضافرة دلّت على أن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته هم من مظاهر الاسم الأعظم في النشاطين الملكوتية والمادية، وتلتقي فكرة هذه الروايات مع ما تقدّم في البحث القرآني من دراسة مفهوم الخلافة القرآنية، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو المظهر الأتم لهذه الخلافة.

فعند استقراء مضمون الروايات الواردة في المقام نجد أنّها تتمحور حول الحقيقة القائلة بأنّ نبينا صلى الله عليه وآله هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى، وأنّ الصادر الأوّل هو نور النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأنّهم المصداق الأتمّ والتجسيد الأكمل للخلافة الأسائية. وفي ما يلي نشير إلى بعض الروايات:

١ - عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إنّ الله خلق محمداً وعليّاً وأحد عشر من ولده من نور عظمت، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدّسونه وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص ٢٥٤ - ٢٥٦.

(٢) تفسير الألوسي: ج ٢٢، ص ٢٠.

(٣) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٣٠ - ٥٣١.

٢ - عن المفضل، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمدًا صلى الله عليه وآله وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله. قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النور أبدان نورانية بلا أرواح وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله، وعترته، ولذلك خلقهم حلماً، علماء، بررة، أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ويصلّون الصلوات ويحبّون ويصومون»^(١).

٣ - عن محمد بن سنان قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيته ثم خلق محمدًا وعليًا وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاءون ويحرّمون ما يشاءون، ولن يشاءوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدّمها مرق ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد»^(٢).

٤ - عن أبي الجارود عن محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل الله عزّ وجلّ ينقله من صلب إلى صلب حتى أقرّه في صلب عبد المطلب، ثم أخرجه من صلب عبد المطلب فقسّمه قسمين فصيرّ قسماً في صلب عبد الله، وقسماً في صلب أبي طالب. فعليّ منّي وأنا من عليّ، لحمه من لحمي ودمه من

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ج ١، ص ٤٤١.

دمي، فمن أحبني فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه. ذكر المكتوب بين كتفي: محمود الملك قبل خلق آدم باثنين وعشرين ألف عام^(١).

٥ - عن المفضل، قال: «قال الصادق عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا. ف قيل له: يابن رسول الله ومن الأربعة عشر؟ فقال: محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال، ويظهر الأرض من كل جور وظلم»^(٢).

٦ - عن خيشمة عن أبي جعفر عليه السلام قال «نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر ونحن عهد الله، فمن وفى بزمّتنا فقد وفى بدمّة الله، ومن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، و من خفّرنا فقد خفّر ذمّة الله وعهده»^(٣).

٧ - عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ الله خلقنا من نور عظمتته، ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلاّ للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همج،

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص ٦٤٠.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ١٥، ص ٢٣.

(٣) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٧٧.

للنار وإلى النار»^(١).

٨ - عن المفَضَّل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما بعث الله نبياً أكرم من محمد صلى الله عليه وآله، ولا خلق الله قبله أحداً، ولا أنذر الله خلقه بأحد من خلقه قبل محمد صلى الله عليه وآله، فذلك قوله (تعالى): ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فلم يكن قبله مطاع في الخلق، ولا يكون بعده إلى أن تقوم الساعة في كل قرن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»^(٢).

٩ - عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوحي والقلم والجنة والنار وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وكلّ من قال الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ - إلى قوله - وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربعمئة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة، وخلق عزّ وجلّ معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنّة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب الهداية، وحجاب النبوة، وحجاب الرفعة، وحجاب الهيبة، وحجاب الشفاعة.

ثمّ حبس نور محمد صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص ٦٦٩.

وهو يقول: «سبحان ربي الأعلى وبحمده».

وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة وهو يقول «سبحان عالم السر».

وفي حجاب المئة عشرة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان من هو قائم لا يلهو».

وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان الرفيع الأعلى».

وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول: «سبحان من هو دائم لا يسهو».

وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان من هو غني لا يفتقر».

وفي حجاب المنزلة ستة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان العليم الكريم».

وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان ذي العرش العظيم».

وفي حجاب النبوة أربعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان ربّ العزة عما يصفون».

وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان ذي الملك والملكوت».

وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول: «سبحان الله وبحمده».

وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول: «سبحان ربي العظيم وبحمده».

ثم أظهر اسمه على اللوح فكان على اللوح منوراً أربعة آلاف سنة، ثم أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عز وجل في صلب آدم عليه السلام ثم نقله من صلب آدم إلى صلب نوح عليه السلام ثم من صلب إلى صلب حتى أخرجه الله تعالى من صلب عبد الله بن عبد

المطلب فأكرمه بست كرامات:

ألْبَسَهُ قميص الرضا، وردّاه برداء الهيبة، وتوّجه بتاج الهداية، وألبسه سراويل المعرفة، وجعل تكّته تكّة المحبة يشدّ بها سراويله، وجعل نعله نعل الخوف، وناولوه عصا المنزلة، ثم قال له: يا محمد اذهب إلى الناس فقل لهم: قولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء: قامتته من الياقوت، وكماء من اللؤلؤ، ودخريصه من البلّور الأصفر، وإبطاه من الزبرجد، وجربانه من المرجان الأحمر، وجيبه من نور الربّ - جلّ جلاله -.

فقبل الله توبة آدم عليه السلام بذلك القميص، وردّ خاتم سليمان به، وردّ يوسف إلى يعقوب به، ونجّى يونس من بطن الحوت به، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام أنجاهم من المحن به، ولم يكن ذلك القميص إلا قميص محمد صلى الله عليه وآله^(١).

١٠ - عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نورّت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورّت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً. فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا مجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهم السلام»^(٢).

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص ٣٠٦ - ٣٠٨.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٤٢.

١١- عن المفضل قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلة خضراء، نسبحة و نقدسه ونهلله ونمجده، وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا»^(١).

وعن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف وكان مع إبراهيم ستة أحرف وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً وكان مع نوح ثمانية، وجمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله. إن اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحداً»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل جعل اسمه الأعظم على ثلاثاً وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى إبراهيم منها ثمانية أحرف، وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى موسى منها أربعة أحرف، وأعطى عيسى منها حرفين، وكان يحيى بهما الموتى ويبرئ بهما الأكفم والأبرص، وأعطى محمداً صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً، وأحجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد»^(٣).

وعن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٤٤١.

(٢) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٢٩.

(٣) مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج ٢، ص ٢٥٧.

فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كان أسرع من طرفة عين، وعندنا من الاسم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب المكتوب»^(١).

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنَّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلَّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم»^(٢).

وسياقي مزيد من الروايات الدالة على وجود الاسم الأعظم عند أهل البيت عليهم السلام والتي تدلُّ بالأولوية على وجوده عند الرسول صلَّى الله عليه وآله الأعظم لأفضليته عليهم.

وبهذا يتضح أنَّ مظهر الاسم الأعظم في عالم الملكوت هو نور النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ونور أهل بيته عليهم السلام. أمَّا في عالم الملك والمادَّة فيتمثَّل بالوجود البشري للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وسياقي المزيد من الروايات الدالة على أنَّهم عليهم السلام هم الاسم الأعظم.

النتيجة: امتلاك النبيِّ صلَّى الله عليه وآله الولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في التكوين لا متلاكهم الاسم الأعظم.

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٢٩.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ١: ص ٢٣٠.

الطريق الثالث:

أفضلية النبي على جميع الأنبياء والمرسلين

وحاصل هذا الدليل يتبين من هاتين المقدمتين:

المقدمة الأولى: ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء السابقين

وقد تقدّم الكلام عن هذه المقدمة في الأبحاث السابقة وتّضح أنّ جملة من الأنبياء عليهم السلام قد ثبتت لهم الولاية التكوينية والقدرة على التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة.

المقدمة الثانية: النبي صلى الله عليه وآله أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين

وقد تقدّم الكلام عن هذه المقدمة في البحث السابق.

النتيجة: تتمتع النبي صلى الله عليه وآله بالولاية التكوينية والقدرة على التصرف في التكوين بالأولوية، إذ من غير المعقول أن يثبت للمفضول شيء من الكمالات ما ليس للفاضل، ومن الواضح أنّ القدرة على التصرف في التكوين من أوضح مصاديق الكمالات، بل هي من الكمالات الثابتة بالذات والاستقلال لله سبحانه وحده، أمّا ثبوتها للغير فهي بالتبع وبإذن منه تعالى.

ويؤيد ذلك ما ورد في أصول الكافي كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثوا

علم النبي صلى الله عليه وآله ... الحديث: ٧.

الطريق الرابع:

رؤية النبي صلى الله عليه وآله للملكوت

يمكن تقريب هذا الطريق من خلال مايلي:

المقدمة الأولى: رؤية الملكوت موجبة للتصرف في التكوين

وقد تقدّم الكلام حول هذه المقدمة في الفصل الأول.

المقدمة الثانية: أن النبي صلى الله عليه وآله رأى الملكوت

ويمكن إثبات هذه المقدمة من عدة طرق منها أن النبي صلى الله عليه وآله يعلم مما في الكتاب المبين الذي هو من الملكوت، كما تقدّم بيانه آنفاً.

النتيجة: حصول الولاية التكوينية والقدرة على التصرف في التكوين للنبي صلى الله عليه وآله؛ لرؤيته للملكوت الموجب للتصرف في التكوين.

خلاصة الفصل الثالث

في إثبات الولاية التكوينية للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.
تعرضنا لثلاثة طرق لإثبات الولاية التكوينية للرسول عليهم السلام صلى الله عليه وآله.

الطريق الأول: علم النبي صلى الله عليه وآله بالكتاب المبين الذي هو منشأ للقدرة على التصرف في التكوين بشكل خارق للعادة.

الطريق الثاني: حصول النبي صلى الله عليه وآله على الاسم الأعظم، وقد تقدم في الفصل السابق أنّ من حصل على الاسم الأعظم تثبت له الولاية التكوينية.

الطريق الثالث: أفضلية النبي صلى الله عليه وآله على جميع الأنبياء والمرسلين من الأولين والآخرين، وقد تقدم أنّ الأنبياء السابقين وكثير من الأولياء قد ثبتت لهم الولاية التكوينية، فيدلّ بالأولوية على ثبوت الولاية التكوينية للرسول صلى الله عليه وآله لأفضليته عليهم عليهم السلام ولاشك أنّ الولاية التكوينية من أوضح مصاديق الأفضلية إذ هي من الكمالات الثابتة لله تعالى بالاستقلال.

الفصل الرابع

الولاية التكوينية لأهل البيت

عليهم السلام

هنالك عدّة طرق لإثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام،

منها:

الطريق الأول:

علمهم عليهم السلام بالكتاب

تقدّم آنفاً أنّ منشأ القدرة على التصرف في التكوين هو العلم بالكتاب،
وقد دلّت عدّة من الأدلّة على علمهم عليهم السلام بالكتاب، نستعرض في ما
يلي بعضها:

الدليل الأول: آية التطهير

تقدّم في الفصل الأول تقريب الاستدلال بهذه الآية على أنّ الكتاب
المبين لا يمسه - أي لا يعلمه - إلاّ المطهّرون، ومن الواضح أنّ أهل البيت
عليهم السلام من المطهّرين، بنصّ الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) التي نزلت فيهم عليهم
السلام، وقد تناولنا الحديث عن آية التطهير بشكل مفصل في كتاب العصمة،
وإليك بعض الروايات الدالّة على ذلك:

• أخرجه الترمذي في سننه عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ صلى الله عليه
 وآله قال: «لما نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

(١) الأحزاب: ٣٣.

لِيَذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿١﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة و حسناً و حسيناً وعليّ خلف ظهره، فجلّسهم بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير^(١).

قال الألباني: «صحيح»، ثم قال: «هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب»^(٢).

• ما ورد عن أم سلمة أيضاً قالت: «فلما رأهم مقبلين مدّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يده إلى كساء كان على المنامة، فمدّه وبسطه، وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمّه فوق رؤوسهم، وأوماً بيده اليمنى إلى ربّه، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٣).

• عن أم سلمة أيضاً أنّها قالت: «فاجتمعوا حول النبيّ صلى الله عليه وآله على بساط فجلّسهم نبيّ الله صلى الله عليه وآله بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا؟ قالت: فو الله ما أنعم، وقال: إنك إلى خير». رواه الترمذي وقال عنه الألباني: صحيح^(٤).

(١) سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٥ ص ٣٥١.

(٢) المصدر نفسه: ج ٥ ص ٦٩٩.

(٣) مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٩٨؛ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء: ج ٣ ص ٤٩٢ - ٤٩٣.

(٤) صحيح الترمذي: ج ٣ ص ٢٤١؛ مسند أبي يعلى: ج ١٢ ص ٤٥٥؛ جامع البيان، الطبري: ج ٢٢ ص ١٢؛ تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٤٩٣.

ولم يكتف النبي بذلك بل رفض صلى الله عليه وآله دخول أزواجه تحت الكساء للانضمام لأهل البيت عليهم السلام.

• فعن أم سلمة أيضاً قالت: «إن هذه الآية نزلت في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالت: وأنا جالسة على باب البيت فقلت: يا رسول الله، أأنت من أهل البيت؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي»^(١).

• وأخرج الهيثمي عن سعداً قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً وابنيه وفاطمة رضي الله عنهم، فأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: ربّي هؤلاء أهلي وأهل بيتي»^(٢).

• وأخرج الهيثمي أيضاً عن أبي جميلة: «أن الحسن بن علي حين قُتل عليّ استخلف، فبينما هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه، فتمرّض منها أشهراً، ثم قام فخطب على المنبر، فقال: يا أهل العراق، اتّقوا الله فينا فإننا أمراؤكم وضيّفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلّا باكياً». رواه الطبراني ورجاله ثقات^(٣).

وقد صرح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في نفس الآية التي هي محلّ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري: ج ٢٢ ص ١١؛ تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٤٩٣.

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، دار الحرمين، القاهرة: ج ١ ص ٢٣١.

(٣) مجمع الزوائد، مصدر سابق: ج ٩ ص ٢٧٣.

البحث تصريحاً لا يبقى فيه مجال للشك والريب، حيث قال صلى الله عليه وآله: «نزلت الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وفاطمة وحسن وحسين»^(١).

ولأجل سدّ منافذ الريب والالتباس أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله يتلو آية التطهير على مرأى ومسمع المسلمين كلّ يوم بل كلّ وقت صلاة أمام بيت فاطمة عليها السلام، وهذا بنفسه يعدّ من أفضل السبل لدرء محاولات المغرضين لأجل خلط الأوراق والتليس، بإدخال ما ليس منهم فيهم وإخراج من كان منهم عنهم. وقد ورد هذا المعنى في روايات متضافرة:

• منها: أخرج الحاكم عن أبي بركة قال: «صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبعة عشر شهراً فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: السلام عليكم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾»^(٢).

• ومنها: ما ورد عن أبي الحمراء قال: رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: رأيت رسول الله إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما، فقال صلى الله عليه وآله: الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٣)، وفي بعض ستة أشهر.

فعن أبي داود يقول: «سمعت أبا الحمراء يقول: رأيت رسول الله صلى الله

(١) المصدر نفسه: ج ٩ ص ١٦٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ٤ ص ٢٩٠؛ تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٤٩٢؛ التاريخ، البخاري: ج ٩ ص ٢٥ - ٢٦؛ فتح القدير، الشوكاني: ج ٤ ص ٢٨٠؛ شواهد التنزيل، الحسكاني:

ج ٢ ص ٧٤-٧٥.

(٣) المصدر نفسه.

عليه وسلم يأتي باب عليّ وفاطمة ستة أشهر، فيقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

• وعن أنس بن مالك قال: «إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يمرّ بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»، ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»^(٢).

تأييد القرطبي: «وقراءة النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دليل على أنّ أهل البيت المعنيين في الآية هم المغطون بذلك المرط في ذلك الوقت»^(٣).

الواحدي: «إنّ آية التطهير نزلت في خمسة: النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين»^(٤).

ابن تيمية: «أفضل أهل بيته علي وفاطمة وحسن وحسين الذين أدار عليهم الكساء وخصّهم بالدعاء»^(٥).

وبهذا يتّضح أنّ أهل البيت عليهم السلام يعلمون الكتاب.

(١) المعجم الكبير: ج ٢٢ ص ٢٠٠.

(٢) مسند أحمد: ج ٣ ص ٢٥٩ ص ٢٨٥؛ المستدرک للحاكم: ج ٣ ص ١٧٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي: ج ٦ ص ٣٠٢.

(٤) أسباب النزول، الواحدي: ص ٢٣٩.

(٥) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، الطبعة الأولى، ١٣٨٦: ج ٥ ص ٣٣١.

الدليل الثاني : حديث الثقلين

وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله «إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض». ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن. ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت وليه فهذا وليه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما كان في الدوحات رجل إلا رآه بعينه وسمع بأذنه^(١).

ومن المعلوم أنّ حديث الثقلين روي متواتراً من طرق الفريقين، ونقله كبار الصحابة والتابعين، وقد أخرجه أرباب الصحاح والسنن والمسانيد والتفاسير والسير وغيرها.

فقد أخرجه مسلم في صحيحه^(٢) والترمذي في سننه^(٣) وصححه الألباني في الجامع الصغير وأحمد في مسنده^(٤) وعلق عليه الهيثمي بقوله «إسناده جيد»^(٥).

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير^(٦) وعلق عليه الهيثمي بقوله: «رواه

(١) سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١، ١٩٩١.

(٢) صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧٣.

(٣) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٢.

(٤) مسند أحمد: ج ٣ ص ١٤.

(٥) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ٢٥٦.

(٦) المعجم الكبير: ج ٥ ص ١٧٠.

الطبراني بإسنادين... أحدهما ورجال الصحيح^(١) وأخرجه أيضاً: النسائي في سننه^(٢) وأخرجه الحاكم النيسابوري في مستدركه وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله»^(٣) ورواه ابن كثير في البداية والنهاية معلّقاً عليه بقوله: «قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حيث صحيح»^(٤). وغير ذلك من المصادر.

قال ابن حجر: «ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً»^(٥).

وفي موضع آخر قال: «ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنّه قال ذلك لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف».

ثم قال: «ولا تنافي إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة»^(٦).

وقال السمهودي: «في الباب عن زيادة على عشرين من الصحابة

(١) مجمع الزوائد: ج ١٠ ص ٦٥٨.

(٢) السنن الكبرى: ج ٥ ص ٤٥.

(٣) المستدرک: ج ٣ ص ١١٨.

(٤) البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢٠٩.

(٥) الصواعق المحرقة، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة عام ١٤٢٠ هـ: ج ٢ ص ٤٤٠.

(٦) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٤٤١.

رضوان الله عليهم»^{(١)(٢)}.

تقريب الاستدلال: بناء على ما تقدّم في مطاوي البحث في مراتب القرآن الكريم، وبانت حدوده، واتّضحت معالمه، وتبيّن أنّ القرآن الكريم الذي بين أيدينا، هو الذي نزل على قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وأنه آية وعلامة للكتاب المبين، وأنه يضم بين دفتيه علم ما يكون وما كان، وأنه تبيان لكل شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، ولا سبيل للبطلان إليه، فمن جميع هذه المقدمات نقول:

لو لم يكن لدى أهل البيت عليهم السلام علم الكتاب، للزم أحد احتمالين:
الاحتمال الأول: أن يكون إخباره صلى الله عليه وآله بأنّهما لن يفترقا، إخباراً مخالفاً للواقع، إمّا عمداً أو سهواً أو اشتهاً - والعياذ بالله -.

الاحتمال الثاني: أن يكون نفس القرآن الذي أخبر عن نفسه بأنّ فيه تبيان كل شيء وأنه حق محض، أن يكون هذا الإخبار مخالفاً للواقع أيضاً، إمّا كذباً أو اشتهاً. وكلا الاحتمالين باطل.

أما الاحتمال الأول: وهو أن إخبار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله خلاف الواقع، فهو باطل عقلاً ونقلاً.

أما بطلانه عقلاً: فلاّنه لو لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله معصوماً - ولو في مجال التبليغ على الأقل - للزم نقض الغرض، مضافاً إلى أن إجماع الساحة

(١) جواهر العقدين، السمهودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥: ص ٢٣٤.

(٢) وقد تناول العلامة السيد كمال الحيدري الكلام حول حديث الثقلين بشكل مفصل في بحث علم الإمام فراجع.

الفكرية لجميع المسلمين على عصمة النبي صلى الله عليه وآله في مقام التبليغ، وحديث الثقلين إنما صدر في مقام التبليغ، كما هو واضح من قوله صلى الله عليه وآله للمسلمين «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» بمعنى إبلاغ المسلمين وإخبارهم بوجوب الإرجاع إلى الكتاب والعترة.

ولقائل أن يقول: - كما ذهب إليه بعض علماء جمهور السنة - بإمكان الاشتباه والغفلة والسهو للنبي في مقام التبليغ.

والجواب: نقول إن هذا الاحتمال - لو سلّمنا به جـدلاً - فهو غير وارد في المقام إذ إن نصوص حديث الثقلين لم تكن في واقعة واحدة حتى يقال إمكان الاشتباه والغفلة فيها، بل نقله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في وقائع متعددة قد تصل إلى عشرات المرات - كما تقدّم - وهذا أمر بنفسه يعدّ خير شاهد على عدم ورود مثال هذا الإشكال.

أما بطلانه نقلاً: فهو ما صرّحت به جملة من النصوص القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

أما الاحتمال الآخر القائل بحصول الاشتباه في إخبار القرآن نفسه، فهو احتمال باطل عقلاً ونقلاً.

أما عقلاً فلأنه يلزم الكذب والاشتباه على الله تعالى - والعياذ بالله - إذ إن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله، فالله تعالى منزّه عن الكذب والاشتباه ومن كلّ نقض كما هو ثابت في محله.

أما نقلاً فإن القرآن الكريم قد أخبر عن نفسه بأنه لا يأتيه الباطل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، وغيرها من النصوص القرآنية

(١) النجم: ٣-٤.

التي عرضت هذا المعنى وأشبعته إشباعاً رائعاً.

والنتيجة التي ننتهي إليها بمقتضى إخبار النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين بأن أهل البيت عليهم السلام لن يفترقا عن الكتاب وأنهم عليهم السلام عدل القرآن الكريم، ومما يعضد ذلك ما ورد في بعض ألفاظ الحديث «وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا ولا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإني قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

قال القارئ في المرقاة: «الأظهر هو أنّ أهل البيت عليهم السلام غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته الواقفون على طريقته العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا عدلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾»^(٢). وعلى هذا الأساس يتحتم امتلاك أهل البيت عليهم السلام لعلم الكتاب الذي فيه علم كلّ شيء، كما تقدّم.

التأييد الروائي

هنالك عشرات بل مئات الروايات ذات مضامين متعدّدة، جميعها تؤكّد علم أهل البيت عليهم السلام بالكتاب، منها:

(١) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣: ج ٣ ص ٦٦.
(٢) عن جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (ت: ١٣٨٣ هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩ هـ: ج ١، ص ٤٧. وكذلك: امتاع الأسباع للمقريزي (ت: ٨٤٥ هـ)، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٩٩٩ م: ج ٦، ص ١٧.

١- عن عبد الأعلى بن أعين قال سمعت أبا عبد الله الإمام الصادق عليه السلام يقول: «قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة وخبر النار وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كأنما أنظر إلى كفي. إن الله يقول: فيه تبيان كل شيء»^(١).

ومن المعلوم أن تعبير الإمام عليه السلام «أعلم ذلك كأنما أنظر إلى كفي» للدلالة على إحاطتهم عليهم السلام بكل علوم القرآن.

٢- عن يعقوب بن جعفر قال: «كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم تسمع به؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه وسفريه وحضرته وفي أي ليلة نزلت كم من آية؟ وفي من نزلت وفي ما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه وشهادته على خلقه، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَتَكُنُّ شُهَدَاءَهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ فالشهادة لنا والمسألة للمشهود عليه. فهذا علم ما قد أنهيته إليك وأدبته إليك ما لزمني. فإن قبلت فاشكر، وإن تركت فإن الله على كل شيء شهيد»^(٢).

٣- عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له قول الله ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قال: إيانا عنى»^(٣). وفي رواية أخرى: هم الأئمة خاصة^(٤).

(١) بصائر الدرجات: ص ٢١٧.

(٢) نفس المصدر: ص ٢١٧.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٢٢.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٢٢.

٤- عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قرأ هذه الآية ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ثم قال: يا أبا محمد والله ما قال بين دفتي المصحف. قلت: من هم جعلت فداك؟ قال: من عسى أن يكونوا غيرنا؟^(١).

٥- عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عز وجل: فيه تبيان كل شيء»^(٢).

وغير ذلك من الروايات التي تكشف بوضوح أن أهل البيت عليهم السلام يعلمون كل ما في القرآن من علوم. وقد تقدم أن القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين.

النتيجة: ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت (عليهم السلام) لعلمهم بما في الكتاب المبين، لما تقدم في الفصل الثالث أن من علم بما في الكتاب المبين تثبت له الولاية التكوينية.

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ١ ص ٢٢٩.

الطريق الثاني:

أفضلية أهل البيت على جميع الأنبياء السابقين

يمكن إثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام من خلال إثبات أفضليتهم على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين - ماعدا نبينا صلى الله عليه وآله - .
 وحاصل الاستدلال: بناء على ما تقدّم سابقاً من تمتّع الأنبياء السابقين بالولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في التكوين؛ من قبيل إحياء الموتى وخلق الطير ونحوها من الموارد المتقدّمة الثابتة لهم، تثبت الولاية التكوينية لأهل البيت بالأولوية القطعية؛ لأفضليتهم عليهم السلام على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين، إذ من غير العقول أن يثبت للمفضول من الكمالات ما ليس للفاضل ومن الواضح أنّ القدرة على التصرّف في التكوين من الكمالات. وإليك الأدلة على أعلمية أهل البيت من خلال عدّة مقدّمات.

الدليل الأول: أعلمية أهل البيت على جميع الأنبياء السابقين

المقدّمة الأولى: علم أهل البيت بالكتاب المبين.
 وقد تقدّم الحديث عن هذه المقدّمة مفصّلاً في البحث السابق وتبين أنّ أهل البيت عليهم السلام يعلمون جميع ما في الكتاب المبين.
 المقدّمة الثانية: القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين.

وهذه المقدمة تقدّم الكلام عنها آنفاً.

المقدمة الثالثة: هيمنة القرآن الكريم على جميع كتب الأنبياء السابقين.

تقدّم أنّ القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين، بخلاف كتب الأنبياء السابقين التي تتميز بحكايتها وعلاميتها لبعض الكتب المبين لا جميعه، على هذا الأساس يتّضح أنّ القرآن الكريم مهيمن على جميع الكتب السماوية السابقة. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(١).

ومحلّ الشاهد في هذه الآية الشريفة كلمة (مهيمناً)، التي تطلق على الشيء الذي يحفظ ويرتّب ويؤتمن على شيء آخر، لذا قال الخليل الفراهيدي: الرجل يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء وشاهداً عليه وحافظاً.

وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: «هيمنة الشيء على الشيء - على ما يتحصّل من معناها - كون الشيء ذا سلطة على الشيء في حفظه ومراقبته وأنواع التصرف فيه، وهذا حال القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه تبيان كلّ شيء بالنسبة إلى ما بين يديه من الكتب السماوية: يحفظ منها الأصول الثابتة غير المتغيرة وينسخ منها ما ينبغي أن ينسخ من الفروع التي يمكن أن يتطرّق إليها التغيّر والتبدّل حتى يناسب حال الإنسان بحسب سلوكه صراط الترقّي والتكامل بمرور الزمان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وقال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾

(١) المائدة: ٤٨.

أَوْ نُذِنَهَا نَأَتْ بِمَخِيرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا»^(١).

والدليل على كون القرآن مهيمناً على جميع الشرائع والكتب السماوية السابقة قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)؛ لذا في الرواية عن سعد الإسكاف قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب، والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور كذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ﴾»^(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «وإن الله عز وجل جعل كتابي المهيمن على كتبهم، الناسخ لهم، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا، وبتحريم بعض ما حلّلوا»^(٤).

ويؤيّد ما ورد عن علي بن عيسى رفعه قال: «إن موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: يا موسى لا يطول في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك... أوصيك يا موسى وصيّة الشفيق المشفق بآبن البتول عيسى ابن مريم صاحب الأنان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيّب الطاهر المطهر، فمثله في كتابك أنّه مؤمن مهيمن على الكتب كلّها وأنّه راعع ساجد، راغب، راهب، إخوانه المساكين وأنصاره قوم

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٥ ص ٣٤٨.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٠؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ١٦ ص ٣٢٧.

(٤) نور الثقلين، الحويزي: ج ١ ص ٦٣٨.

آخرون، ويكون في زمانه أزل وزلزال وقتل، وقلة من المال»^(١).

النتيجة المتمخضة من المقدمات الثلاث (علم أهل البيت بالكتاب المبين، وأن القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين، وهيمنة القرآن الكريم على جميع الكتب السماوية السابقة) تبين أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين، وحيث إن الدرجة العلمية لكل كتاب تمثل المرتبة العلمية لنبي ذلك الكتاب، وأن أهل البيت عليهم السلام انطوا على علم كل ما في القرآن الكريم المهيمن على جميع الكتب السماوية السابقة، فهذا بدوره يدل ويكشف عن أعلميتهم، ومن ثم أفضليتهم على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين؛ لأن الأعلمية من أبرز مصاديق الأفضلية.

الدليل الثاني: الروايات الدالة على أفضلية أهل البيت

هنالك حشد وافر من الروايات الدالة على أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء السابقين، منها:

• عن عبد الله بن الوليد قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أي شيء يقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين عليه السلام؟ قلت: يقولون: إن عيسى وموسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: أيزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله؟ قلت: نعم ولكن لا يقدّمون على أولي العزم من الرسل أحداً. قال أبو عبد الله عليه السلام: فخاصمهم بكتاب الله. قلت: وفي أي موضع منه أخاصمهم؟ قال: قال الله تعالى لموسى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فعلمنا أنه لم يكتب لموسى كل

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ٨ ص ٤٣.

شيء. وقال الله تبارك وتعالى لعيسى: ﴿وَلَا بُيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ﴾^(١) وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

• عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله خلق أولى العزم من الرسل بالعلم وورَّثنا علمهم، وفضَّلنا عليهم في علمهم، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا، وعلمنا علم الرسول وعلمهم، وأمناء شيعتنا أفضل منهم. أينما كنَّا فشيعتنا معنا»^(٣).

• عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من نبيٍّ نبى ولا من رسولٍ أرسل إلا بولايتنا وبفضلنا عمَّن سوانا»^(٤).

• عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني. قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا علي إنَّ الله تبارك وتعالى فضَّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك»^(٥).
وغير ذلك من الروايات التي لا يسع المقام لاستقصائها، وقد تقدَّمت

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٤.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٢٣٧.

بعض الروايات الدالة على أفضليتهم عليهم السلام من قبيل الروايات الدالة على أعلميتهم على جميع الأنبياء السابقين أو الروايات الدالة على تنزيلهم منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله والروايات الدالة على توقف نبوة الأنبياء السابقين على الإقرار بولايتهم عليهم السلام، منها:

• عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي، ومثلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم»^(١).

• عن زرارة عن حمran عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذبا وماء مالحا أجاجا فامتزج الماءان فأخذ طينا من أديم الأرض فعركه عركا شديدا فقال لأصحاب اليمين وهم فيهم كالذر يدبّون إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال يدبّون إلى النار ولا أبالي. ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ قال: ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ثم قال: وإن هذا محمد رسول الله وإن هذا عليّ أمير المؤمنين. قالوا: بلى. فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم؛ ألا إني ربكم ومحمد رسولي وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولادة أمري وخزان علمي وإن المهديّ أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأعبد به طوعا وكرها. قالوا: أقرنا وشهدنا يا رب. ولم يجد آدم ولم يقرّ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهديّ، ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به»^(٢).

(١) المصدر السابق: ص ٩٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٠.

عن عبد الأعلى قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: ما نبىّ نبىّ قط إلاّ بمعرفة حقنا وفضلنا عمّن سوانا»^(١).

ومن جميع هذه الأدلة يتّضح أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين، وحيث إنّ الولاية التكوينية ثابتة للأنبياء والمرسلين السابقين كما تقدّم - فتدلّ على ثبوتها لأهل البيت عليهم السلام بالأولوية، إذ ليس من المعقول أن يثبت كمال من الكمالات للمفضول ولا يثبت للفاضل، ولا ريب في كون الولاية التكوينية من الكمالات.

(١) المصدر السابق: ص ٩٤.

الطريق الثالث:

الأسماء الحسنى والاسم الأعظم عند أهل البيت

تقدّم في ما سبق أنّ من ملك الاسم الأعظم يستطيع أن يتصرّف في التكوين، وقد دلّت جملة وافرة من الروايات على أنّ عند أهل البيت الاسم الأعظم، والروايات بهذا المضمون متضاربة لا مجال لاستقصائها جميعاً، ومنها:

١ - عن الإمام الباقر والإمام الهادي عليهما السلام: «إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فحسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم»^(١).

٢ - عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله تعالى جمع ذلك كلّهُ لمحمد صلّى الله عليه وآله، وإنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطي محمد اثنان وسبعين حرفاً، وحُجب عنه

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٢٨.

حرف واحد»^(١).

٣- عن ابن عباس: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ من وراء قاف عالم لا يصل إليه أحد غيري، وأنا المحيط بما وراءه، والعلم به كعلمي بدنياكم هذه، وأنا الحفيظ الشهيد عليها، ولو أردت أن أجوب الدنيا بأسرها والسموات السبع كالأرضين في أقلّ من طرفة عين لفعلت، لما عندي من الاسم الأعظم»^(٢).
وغير ذلك من الروايات الدالة على امتلاك أهل البيت عليهم السلام للاسم الأعظم.

وبهذا يتّضح أنّ أهل البيت عليهم السلام لديهم القدرة على التصرّف في التكوين لثبوت الملازمة بين معرفة الاسم الأعظم والقدرة على التصرّف في التكوين، كما أشارت إلى ذلك الروايات المتقدمة إلى قدرتهم على الإحياء والإماتة وطي الأرض والعروج إلى السماء وخرق السماء والأرض، وإطاعة كلّ شيء حتى السماء والجنّة والبحار والشمس والنجوم والشجر والدواب، وإبراء الأكمه والأبرص.

بل يستفاد من وجود الاسم الأعظم عند أهل البيت عليهم السلام أنّ قدرتهم على التصرّف في التكوين يفوق قدرة الأنبياء السابقين لحصولهم على اثنين وسبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم، وهذا لم يحصل عليه أيّ من الأنبياء السابقين، فإنّه كان عندهم بعض أحرف الاسم الأعظم، وكانوا يحيون الموتى ويتصرّفون بالأمور التكوينية، فكيف بهم وهم عندهم اثنان وسبعون حرفاً من حروف الاسم الأعظم، فهذا يدلّ على قدرتهم على

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٣٠.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٧ ص ٣٨.

التصرّف بما هو أعظم وأكبر وأصعب من إحياء الموتى.

روايات أخرى دالة على أنهم الأسماء الحسنی

ومما يؤيد ذلك ما دلّ من الروايات على أنهم الأسماء الحسنی. وإليك طائفة منها:

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾. قال: «نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا»^(١).

٢ - نحن والله الأسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا. قال عليه السلام: فادعوه بها»^(٢).

٣ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إني لأعرف بطرق السماوات من طرق الأرض، نحن الاسم المخزون المكنون ونحن الأسماء الحسنی التي إذا سئل الله عزّ وجلّ بها أجاب، نحن الأسماء المكتوبة على العرش ولأجلنا خلق الله عزّ وجلّ السماء والأرض والعرش والكرسي، والجنة والنار، ومنا تعلّمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير، ونحن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه»^(٣).

٤ - عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ وهو قوله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾»^(٤).

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٣٣.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٧ ص ٣٨.

(٤) المصدر نفسه: ج ٩١ ص ٥.

الطريق الرابع:**الروايات المصرحة بتصرف أهل البيت في التكوين**

هنالك عدد وافر من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام دالة بوضوح على أنهم عليهم السلام قد تصرفوا في التكوين بشكل خارق للعادة، وهي على طوائف:

الطائفة الأولى: قيامهم عليهم السلام بإحياء الموتى

١ - عن ... عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال:

«قلت له: جُعِلَ فداك أخبرني عن النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وآله ورث من النبيّين كلّهم؟

قال لي: نعم.

قلت: من لدن آدم إلى أن انتهيت إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبياً إلاّ وكان محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله أعلم منه.

قلت: إنّ عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله؟

قال: صدقت.

قلت: وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، هل كان رسول الله صَلَّى

الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل؟

قال: إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقده وشك في أمره فقال: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَّ هَدًا أَمْ كَانَ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ * وغضب عليه فقال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ ^(١) وإنما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء، فهذا وهو طير فقد أعطي ما لم يُعطَ سليمان، وقد كانت الريح والنمل والجنّ والإنس والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن له من يعرف الماء تحت الهواء، فكان الطير يعرفه. إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ ^(٢) وقد ورثنا هذا القرآن فيه ما يقطع به الجبال ويقطع المداين به ويحيى به الموتى ^(٣).

٢ - عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال:

«أنا أحيي وأميت بإذن ربّي، أنا أنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم بإذن ربّي، وأنا عالم بضائر قلوبكم والأئمة من أولادي (عليهم السلام) يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنّنا كلّنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلّنا محمد، فلا تفرّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويل كلّ الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربّنا؛ لأنّ من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزّ وجلّ ومشيتّه فينا» ^(٤).

٣ - عن أبي بصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وقلت له: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

(١) النمل: ١٩-٢٠.

(٢) الرعد: ٣١.

(٣) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٦٧.

(٤) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٦ ص ٦.

قال: نعم.

قلت: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلّما علموا؟

فقال لي: نعم.

فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟

فقال لي: نعم بإذن الله.

ثم قال: ادن مني يا أبا محمد.

فمسح يده على عيني ووجهي وأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في الدار.

قال: أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً؟

قلت: أعود كما كنت.

قال: فمسح على عيني فعدت كما كنت.

قال عليّ: فحدثت به ابن أبي عمير فقال: أشهد أن هذا حق كما أن النهار حق^(١).

٤ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تعالى أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكراً سوياً، مباركاً، يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدث عمران امرأته حنة بذلك وهي أمّ مريم، فلما حملت كان حملها بها عند نفسها غلام، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ أي لا يكون البنت رسولاً.

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٨٩.

يقول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾، فلما وهب الله تعالى لمريم عيسى كان هو الذي بشر به عمران ووعدته إياه، فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك»^(١).

٥ - عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ من الناس من يؤمن بالكلام، ومنهم من لا يؤمن إلا بالنظر. إنّ رجلاً أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: أرني آية. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لشجرتين: اجتمعا. فاجتمعتا، ثم قال: تفرّقا. فافترقا ورجعت كلّ واحدة منهما إلى مكانها. فأمن الرجل»^(٢).

٦ - حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله في مكان ومعه رجل من أصحابه وأراد قضاء حاجة فقال: ائت الخشبين - يعني النخلتين - فقل لهما: اجتمعا بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال لهما: اجتمعا بأمر رسول الله. فاجتمعا فاستتر بهما النبيّ صلى الله عليه وآله فقضى حاجته ثم قام. فجاء الرجل فلم ير شيئاً»^(٣).

وهذه الأحاديث المتقدّمة صريحة في قدرتهم على إحياء الموتى وهو معنى الولاية التكوينية.

الطائفة الثانية: قدرة أهل البيت على تسخير الريح والسحاب

وهي روايات متضافرة منها:

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٣٥.

(٢) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٦.

١ - عن عيسى بن هشام عن سليمان عن أبي عبد الله قال: «سأله رجل عن الإمام: هل فوض الله إليه كما فوض إلى سليمان؟ فقال: نعم»^(١).

٢ - عن أسود بن سعيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال - ابتداءً من غير أن أسأله -: «نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عبادته.

ثم قال: إنّ بيننا وبين كلّ أرض ترأّ مثل تر البناء، فإذا أمرنا في الأرض بأمر أخذنا ذلك التّ، فأقبلت إلينا الأرض بكلّيتها وأسواقها وكورها حتى نفّذ فيها من أمر الله ما نؤمر به، وإنّ الريح كما كانت مسخرة لسليمان فقد سخرها الله لمحمد وآله»^(٢).

٣ - عن يزدان بن إبراهيم عمّن حدّثه من أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتّه يقول: قال أمير المؤمنين: والله لقد أعطاني الله تبارك وتعالى تسعة أشياء لم يعطها أحد قبلي خلا محمداً صلّى الله عليه وآله: لقد فتحت لي السبل وعلمت الأنساب وأجري لي السحاب وعلمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربّي فما غاب عني ما كان قبل، ولا فاتني ما يكون من بعدي، وإنّ بولايتي أكمل الله لهذه الأمّة دينهم، وأتمّ عليهم النعم ورضي لهم الإسلام إذ يقول يوم الولاية لمحمد صلّى الله عليه وآله: يا محمد أخبرهم أنّي اليوم أكملت لهم دينهم وأتممت عليهم نعمتي ورضيت لهم الإسلام ديناً، وكلّ ذلك ممّن الله منّ به عليّ فله الحمد»^(٣).

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج ١، ص ٢٨٧، ٨٨٢.

(٢) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٨٩.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٢١.

الطائفة الثالثة : تسخير أهل البيت للجن والإنس والملائكة

توجد جملة من الروايات تدلّ بوضوح أنّ أهل البيت عليهم السلام لديهم القدرة على تسخير الجنّ والإنس والملائكة والطيور والدوابّ، ومن هذه الروايات:

١ - عن سليمان عن أبي عبد الله قال: «سأله رجل عن الإمام هل فوّض الله إليه كما فوّض إلى سليمان؟ فقال: نعم»^(١) أي فوّض إليه تسخير الطير ونحوه مما فوّض لسليمان عليه السلام.

٢ - عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس: إنّ الله علّمنا منطق الطير كما علّمه سليمان بن داود ومنطق كلّ دابة في بر أو بحر»^(٢).

٣ - عن بكّار بن أبي بكر عن موسى بن أشيم قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله، فأخبره بها، ثم دخل عليه رجل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبره، فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كاد قلبي يشرح بالسكاكين. فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ بالواو وشبهها وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كلّهُ.

ودخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي وعلمت أنّ ذلك عن تعمّد.

قال: ثم التفت إليّ فقال: يا بن أشيم إنّ الله فوّض إلى سليمان بن داود عليه السلام فقال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفوّض إلى نبيه صلى الله

(١) المصدر السابق: ص ٣٨١.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦٣.

عليه وآله فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ فما فوّض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقد فوّضه إلينا^(١).

٤ - عن الحسن بن برة الأصم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتة يقول: إنّ الملائكة لتتنزل علينا في رحالنا وتتقلب على فرشنا وتحضر موائدنا وتأتينا في كلّ نبات في زمانه رطب ويابس وتقلب علينا أجنحتها وتقلب أجنحتها على صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا وتأتينا في وقت كلّ صلاة لتصلّيها معنا، وما من يوم يأتي علينا ولا ليل إلّا وأخبار الأرض عندنا وما يحدث فيها، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلّا وتأتينا بخبره وكيف كان سيرته في الدنيا»^(٢).

الطائفة الرابعة: طاعة الأرض والجبال لأهل البيت عليهم السلام

١ - عن سماعة بن مهران قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الدنيا تمثّل للإمام في فلة الجوز فما تعرّض لشيء منها وأنّه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء»^(٣).

٢ - عن الأسود بن سعيد قال: «قال لي أبو جعفر: يا أسود بن سعيد، إنّ بيننا وبين كلّ أرض ترأّ مثل تر البناء، فإذا أمرنا في الأرض بأمر جذبنا ذلك التراب فأقبلت الأرض بقلبيها وأسواقها ودورها حتى تنفّذ فيها ما نؤمر من أمر الله تعالى»^(٤).

(١) المصدر السابق: ص ٤٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٣.

(٣) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٤٢٨.

(٤) المصدر نفسه: ص ٤٢٧.

٣ - عن الحسن بن عطية قال: «كان أبو عبد الله عليه السلام واقفاً على الصفا، فقال له عباد البصري: حديث يروى عنك. قال: وما هو؟ قال: قلت: حرمة المؤمن أعظم من حرمة هذه البنية؟

قال: قد قلت ذلك، إن المؤمن لو قال لهذه الجبال أقبلني أقبلت. قال: فنظرتُ إلى الجبال قد أقبلت، فقال لها: على رسلك إنني لم أردك»^(١).
 ٤ - كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى سهل بن حنيف رحمه الله: «والله ما قلعت باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية، ولا حركة غذائية، لكنني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضيئة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت، ولو أمكنتني الفرصة من رقابها لما بقيت، ومن لم يبال متى حتفه عليه ساقط فجنانه في الملمات رابط»^(٢).

٥ - عن أحمد بن محمد السياري قال: «حدثني غير واحد من أصحابنا قال خرج عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه قال: إن الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شاءوا، وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾»^(٣).

الطائفة الخامسة: أنهم وسائط الفيض الإلهي

١ - عن محمد بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نحن جنب الله، ونحن صفوة الله، ونحن خيرة الله، ونحن مستودع موارث الأنبياء، ونحن أمناء

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٤٧ ص ٨٩.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص ٦٠٤، ٦٠٥.

(٣) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٥٣٧.

الله، ونحن وجه الله، ونحن آية الهدى، ونحن العروة الوثقى، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ونحن الأولون ونحن الآخرون، ونحن أخيار الدهر ونواميس العصر، ونحن سادة العباد وساسة البلاد، ونحن النهج القويم والصراط المستقيم، ونحن علّة الوجود وحبّة المعبود، لا يقبل الله عمل عامل جهل حقّاً»^(١).

٢ - عن محمد بن مسلم قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ خلقاً خلقهم من نوره ورحمته؛ من رحمته لرحمته، فهم عين الله الناضرة، وأذنه السامعة ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وأمنأؤه على ما أنزل من عذر أو نذر أو حجة، فبهم يمحو السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً، وبهم يميّت حياً، وبهم يتلي خلقه، وبهم يقضي في خلقه قضيته. قلت: جعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء»^(٢).

٣ - عن أبي بصير عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعتة يقول: نحن جنب الله ونحن صفوته، ونحن خيرته ونحن مستودع موارث الأنبياء ونحن أمناء الله، ونحن حجة الله ونحن أركان الإيمان ونحن دعائم الإسلام ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى ونحن مصابيح الدجى ونحن منار الهدى ونحن السابقون ونحن الآخرون ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسك بنا لحق، ومن تخلف عنا غرق، ونحن قادة الغرّ المحجّلين، ونحن خيرة الله ونحن الطريق وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله على خلقه، ونحن المنهاج ونحن معدن النبوة ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٦ ص ٢٥٩.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ١٦٧.

استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنة ونحن عزّ الإسلام، ونحن الجسور القناطر، من مضى عليها سبق، ومن تخلّف عنها محق، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا تنزل الرحمة، وبنا تُسقون الغيث، ونحن الذين بنا يُصرف عنكم العذاب. فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا، فهو منا وإلينا»^(١).

٤ - عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام: اكتب ما أملي عليك. قال علي عليه السلام: يا نبي الله وتخاف عليّ النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله لك أن يحفظك فلا ينساك، لكن اكتب لشركائك.

قال: قلت: ومن شركائي يا نبي الله؟

قال: الأئمة من ولدك بهم يُسقى أمتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم وبهم يُصرف البلاء عنهم، وبهم تنزل الرحمة من السماء، وهذا أولهم. وأوماً بيده إلى الحسن ثم أوماً بيده إلى الحسين ثم قال: الأئمة من ولدك»^(٢).

٥ - عن داود الرقي قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنّ عيسى بن مريم كان من شرايعه السبح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه: بسم

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه.

الله، بصحة يقين منه، فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء، فما فضله عليّ؟

قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عز وجل مما قلت.

قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً^(١).

وعن أبي بصير قال: «قال أبو عبد الله: إنّ الأوصياء لتطوى لهم الأرض ويعلمون ما عند أصحابهم»^(٢).

ونحوها من الروايات المتضافرة بهذا المضمون الدالة على أنّهم عليهم السلام وجه الله وعينه ويده وجنبه وأنهم واسطة في الرزق وإنزال الرحمة وصرف العذاب.

دلالة كونهم واسطة الفيض على ولايتهم التكوينية

إن معنى كونهم عليهم السلام واسطة في الفيض هو أنّ كلّ عطاء الهيّ نازل من السماء لا يصل إلى الخلق إلّا بتوسطهم، فبهم يرزق الله العباد، ويحيي الموتى ويميت الإحياء، كلّ ذلك بإذن الله تعالى.

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٤١٨.

(٢) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٤١٨.

خلاصة الفصل الرابع (في إثبات الولاية التكوينية لأهل البيت)

ذكرنا عدّة طرق لإثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام:

• **الطريق الأول:** علمهم عليه السلام بالكتاب المبين، وقد تقدّم أنّ العلم بالكتاب المبين منشأ القدرة على التصرف في التكوين بنحو خارق للعادة.

ومن الأدلة على علم أهل البيت عليهم السلام بالكتاب المبين:

الدليل الأوّل قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١).

وقد ثبت أنّ المطهّرين هم أهل البيت عليه السلام كما نصّ على ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢).

الدليل الثاني: حديث الثقلين الذي يكشف بوضوح على أنّ علمهم عليه السلام علم الكتاب.

• **الطريق الثاني** لإثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام هو أفضليتهم على جميع الأنبياء السابقين عدا نبينا صلّى الله عليه وآله

وحيث ثبتت الولاية التكوينية للأنبياء السابقين كما تقدّم، فيدلّ على ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليه السلام بالأولية؛ لأفضليتهم عليهم السلام، وقد دلّت الروايات المتضافرة على أفضليتهم على الأنبياء السابقين عدا نبينا صلّى الله عليه وآله مضافاً إلى أنّ علمهم بالكتاب يدلّ بوضوح على أفضليتهم على الأنبياء السابقين عدا نبينا صلّى الله عليه وآله.

• **الطريق الثالث** لإثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليه السلام هو

(١) الواقعة: ٧٨ - ٧٩.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

امتلاكهم الاسم الأعظم، وقد تقدّم أنّ من ملك الاسم الأعظم تثبت له الولاية التكوينية.

أمّا الدليل على امتلاك أهل البيت على الاسم الأعظم فهو ما دلّت عليه الروايات المتضافرة.

• **الطريق الرابع** على ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليه السلام هو عشرات بل مئات الروايات الدالة على تصرّفهم في التكوين بشكل خارق للعادة؛ من قبيل الروايات الدالة على إحيائهم الموتى وتسخير الرياح والسحاب وتبديل الحقائق إلى غيرها كتحويل التراب إلى ذهب وجواهر، وتسخير الجن والإنس والملائكة عليهم السلام وأتّهم وسائط الفيض، ونحوها من الروايات الدالة على ثبوت الولاية التكوينية لهم عليهم السلام.

الفصل الخامس

الولاية التكوينية لأهل البيت والغلو

قد تطرأ على الذهن بعض التساؤلات حيال مسألة الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام وقدرتهم على التصرف في التكوين، ومن جملة هذه التساؤلات: هل ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام من الغلو؟ لكي يتضح الجواب لابد من بيان معنى الغلو وماهي ضابطته.

المعنى اللغوي للغلو

قال ابن منظور: «الغلو: مجاوزة الحد، والخروج عن القصد» وهو: «الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء»^(١).

وقال الطريحي: «الغالي: تصلّب وتشدد حتى تجاوز الحد والمقدار»^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: «الغلوّ تجاوز الحدّ، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء، وإذا كان في القدر والمنزلة غلوّ»^(٣).

وفي المعجم الوسيط: «غلا غلوّاً وغلاءً: زاد وارتفع، وجاوز الحدّ، فهو غالٍ، وغلي فلان في الأمر والدين: تشدّد فيه وتجاوز الحدّ وأفرط، فهو غالٍ»^(٤).

(١) لسان العرب: ج ٦ ص ٣٢٩.

(٢) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي: ج ٢ ص ١٣٣٢، مادة غلا.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ص ٣٧٧.

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى: ص ٦٦٠. مادة غلا.

وقال ابن الأثير: «أصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدرة في كل شيء»^(١).
ومن جميع ما تقدّم يتّضح أنّ المعنى اللغوي للغلو، هو مجاوزة الحد
للشيء، سواء كان في المعتقدات الدينية وغيرها.

تحديد مفهوم الغلو في الشريعة

لكي يتّضح مفهوم الغلو في الشريعة، ينبغي بيان موارد استعمال الغلو
في القرآن الكريم والروايات الشريفة وكلمات الأعلام:

الغلو في القرآن

ورد الغلو في القرآن الكريم في موضعين:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا
تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ السَّبِيلِ﴾^(٣).

والآيتان المباركتان في مقام نهي النصارى عن الغلو في عيسى عليه السلام،
حيث رفعوه من درجة النبوة واتخذوه إلهاً من دون الله، كما يحكي ذلك
القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾^(٤) إشارة
إلى نظرية التثليث التي ادّعاها النصارى، وكذا في الآية التي بعدها حيث

(١) النهاية: ج ٣ ص ٣٨٢.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) المائدة: ٧٧.

(٤) النساء: ١٧١.

قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(١).

ولم يكن الغلو مقتصرًا على النصارى، بل كان موجودًا في اليهود أيضًا، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

ومما تقدّم يظهر أن الغلو في القرآن استعمل في معنى مجاوزة الحد المفترض للمخلوق، والارتفاع به إلى مقام الألوهية.

ومما ينبغي التذكير به: أن الغلو الذي وقع موضوعاً لاتهم الشيعة، هو ما كان غلوًا في العقيدة، أمّا ما كان من زياد الحد في الأحكام الالتزامية والتشديد في تطبيقها بصورة أكثر مما هو مطلوب فيها، فهو خارج عن هذا البحث إذ لم يقع نزاع واتهم في التشديد في أحكام الشريعة الالتزامية، وإنما وقع البحث والاتهم للشيعة الإمامية هو الغلو العقائدي.

الغلو في كلمات أهل البيت عليهم السلام

ورد الغلو في كلمات أهل البيت عليهم السلام في عدد وافر من النصوص الروائية التي نهت وحذرت من الغلو والمغالاة فيهم عليهم السلام والارتفاع

(١) النساء: ١٧٢.

(٢) التوبة: ٣٠.

(٣) آل عمران: ٦٤.

بهم إلى مقام الألوهية والربوبية، ومن هذه الروايات:

١ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إياكم والغلوّ فينا. قولوا إنا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم»^(١).

٢ - قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: «يا أبا الحسن بلغني أنّ قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدّ؟ فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله تبارك تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾».

قال علي عليه السلام: يهلك فيّ اثنان ولا ذنب لي: محبّ مفرط، ومبغض مفرط، وأنا أبرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدّنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ

(١) الخصال: ص ٦١٤.

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾.

٣- عن أمير المؤمنين في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال عليه السلام: «أمر الله عز وجل عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وأن يستعينوا من طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِمَ عَلَيْهِ﴾ وأن يستعينوا من طريق الضالين، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وهم النصارى.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله»^(٢).

٤- قال الرضا عليه السلام: «من تجاوز بأمر المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين».

فقام إليه رجل فقال له: يا بن رسول الله صف لنا ربك، فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا.

فأخذ الإمام الرضا عليه السلام يصف ربه بأنه «لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات بعيد بغير تشبيه، ومتدانٍ في بعده بلا نظير، لا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢١٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق، تصحيح، شرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف: ج ١، ص ٤.

يُتَوَهَّم ديموميته، ولا يمثَّل بخليقته، ولا يجور في قضيتته. الخلق إلى ما علم منهم منقادون، وعلى ما سطره في المكنون من كتابه ماضون. لا يعملون بخلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون. فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقصّ، يحقق ولا يمثِّل...»^(١).

فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، فإنّ معي من يتحلّ مولاتكم ويزعم أنّ هذه كلّها صفات علي عليه السلام، وأنّه هو الله ربّ العالمين.

قال: فلمّا سمعها الرضا عليه السلام ارتعدت فرائضه وتصبّب عرقاً، وقال: سبحان الله سبحان الله عما يقول الظالمون، والكافرون. أليس كان عليّاً عليه السلام آكلًا في الآكلين، وشاربًا في الشاربين، وناكحًا في الناكحين، ومحدثًا في المحدثين؟ وكان مع ذلك مصلّيًا خاشعًا خاضعًا بين يدي الله عزّ وجلّ ذليلاً وإليه أوّاهاً منيباً، أفمن كان هذه صفته يكون إلهاً؟! فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلّا وهو إله؛ لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدوث كلّ موصوف بها.

ثم قال عليه السلام: حدّثني أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: ما عرف الله تعالى من شبّهه بخلقه، ولا عدله من نسب إليه ذنوب عباده.

فقال الرجل: يا بن رسول الله إنهم يزعمون أنّ عليّاً عليه السلام لما أظهر من نفسه المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله تعالى، دلّ ذلك على أنّه إله، ولما ظهر لهم بصفات المحدثين العاجزين لبس بذلك عليهم، وامتنحهم

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٢٧٤.

ليعرفوه، وليكون إيمانهم به اختياراً من أنفسهم.

فقال الرضا عليه السلام: أوّل ما هاهنا أنّهم لا ينفصلون من قلب هذا عليهم. فقال: لما ظهر منه الفقر والفاقة دلّ على أنّ من هذه صفاته وشاركه فيها الضعفاء المحتاجون، لا تكون المعجزات فعله، فعلم بهذا أنّ الذي ظهر منه من المعجزات إنّما كانت فعل القادر الذي لا يشبه المخلوقين، لا فعل المحدث المحتاج المشارك للضعفاء في صفات الضعف»^(١).

٥ - عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا إسماعيل ضع لي في المتوضّأ ماء. قال: فقممت فوضعت له، فدخل. فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضّأ يتوضّأ. قال: فلم يلبث أن خرج فقال: يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم. اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا. فقال إسماعيل: وكنت أقول إنّّه وأقول وأقول»^(٢).

٦ - عن زرارة قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام فسألني: ما عندك من أحاديث الشيعة؟ قلت: إنّ عندي منها شيئاً كثيراً قد هممت أن أوقد لها ناراً ثمّ أحرقها. قال: ولم؟ هات ما أنكرت منها ... ما كان على الملائكة حيث قال: «أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ»^(٣). وعلّق المجلسي على الرواية بقوله: «لعلّ زرارة كان ينكر أحاديث من

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٠.

(٢) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه.

فضائلهم لا يحتملها عقله فنّبّه عليه السلام بذكر قصّة الملائكة وإنكارهم فضل آدم عليهم وعدم بلوغهم إلى معرفة فضله.

على أنّ نفي هذه الأمور من قلّة المعرفة، ولا ينبغي أن يكذب المرء بما لم يحيط به علمه، بل لا بدّ أن يكون في مقام التسليم، فمع قصور الملائكة مع علوّ شأنهم عن معرفة آدم لا يبعد عجزك عن معرفة الأئمة عليهم السلام^(١).

٧ - عن كامل التمار قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقلت: نجعل لكم ربّاً تؤوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟

قال: فاستوى جالساً ثم قال: وعسى أن نقول ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألفاً غير معطوفة»^(٢).

قال العلامة المجلسي: «قوله عليه السلام: غير معطوفة، أي نصف حرف، كناية عن نهاية القلّة»^(٣).

٨ - عن فضيل بن يسار، قال: «قال الصادق عليه السلام: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإنّ الغلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله، ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله إنّ الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.

ثم قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله.

ف قيل له: كيف ذلك، يا بن رسول الله؟

قال: لأنّ الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحجّ، فلا يقدر على

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٢٨٣.

(٢) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٥٢٧.

(٣) المصدر نفسه.

ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله (عز وجل) أبداً، وإنَّ المقصّر إذا عرف عمل وأطاع»^(١).

٩ - عن النبي صلى الله عليه وآله قال للإمام علي عليه السلام: «لولا أنّي أخاف أن يقال فيك ما قالت النصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالة لا تمرّ بملاً من المسلمين إلّا أخذوا تراب نعليك وفضل وضوئك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك»^(٢).

١٠ - عن عبد الرحمن بن كثير قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه: لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إنّ المغيرة كذب على أبي عليه السلام فسلبه الله الإيمان، وإنّ قوماً كذبوا عليّ. ما لهم؟ أذاقهم الله حرّ الحديد! فوالله ما نحن إلّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرّ ولا نفع، وإن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون. ويلهم! ما لهم لعنهم الله؟ لقد آذوا الله وآذوا رسوله صلى الله عليه وآله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي صلوات الله عليهم، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ أبيّت على فراشي خائفاً وجلالاً»^(٣).

١١ - عن ابن أبي عمير قال: حدّثنا بعض أصحابنا قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: زعم أبو هارون المكفوف أنّك قلت له: إن كنت تريد

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٥٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٢٧.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٢٨٩.

القديم فذاك لا يدركه أحد، وإن كنت تريد الذي خلق ورزق فذاك محمد بن علي؟ فقال: كذب عليّ، عليه لعنة الله، ما من خالق إلا الله وحده لا شريك له، حقّ على الله أن يذيقنا الموت، والذي لا يهلك هو الله خالق الخلق باري البرية»^(١).

١٢ - عن عبد الله بن مسكان، قال: «دخل حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة الأزدي على أبي عبد الله عليه السلام فقالا له: جعلنا الله فداك، إنّ المفصل بن عمر يقول: إنّكم تقدّرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله، وقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري، وأبلغت الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم فعندها طابت نفسي. لعنه الله وبرئ منه.

قالا: أفنلعه ونبرأ منه؟

قال: نعم، فالعناه وابراء منه، برئ الله ورسوله منه»^(٢).

١٣ - قال صالح بن سهل: «كنت أقول في الصادق ما تقول الغلاة. فنظر إليّ وقال: ويحك يا صالح! إنّنا والله عبيد مخلوقون، لنا ربّ نعبده، وإن لم نعبده عدّبنا»^(٣).

وكان الرضا عليه السلام يقول في دعائه: «اللهم إني بريء من الحول والقوّة ولا حول ولا قوّة إلاّ بك، اللهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحق. اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإيتاك نعبد وإيتاك نستعين، اللهم أنت خالقنا وخالق

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٢٩١.

(٢) خاتمة المستدرک، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٠٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب، مصدر سابق: ج ٣، ص ٣٤٧.

آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين. اللهم لا تليق الربوبية إلا بك، ولا تصلح الإلهية إلا لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك، والعن المضاهئين لقولهم من برّيتك. اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براء منه كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدعون ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ * إِنَّكَ إِنْ تَذَرَّهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا^(١)

١٤ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى فإنّي بريء من الغالين»^(٢). وغير ذلك من الروايات.

فمن مجموع هذه الروايات يتّضح أنّ المراد الغلو عند أهل البيت عليهم السلام هو مجاوزة الحدّ والارتفاع بهم إلى مقام الألوهية، كما يظهر من الروايات التي تنهى عن تأليههم أو رفعهم عن مقام العبودية لله تعالى أو تفويض أمر الخلق إليهم أو القول بأنهم أنبياء، ونحوها من التعبيرات التي يظهر منها تجاوز حدود بشريتهم عليهم السلام.

الغلو في كلمات أعلام الشيعة

ورد تعريف الغلو في عدد من كلمات أعلام الشيعة منها:

١- الشيخ المفيد: قال: «الغلو هو التجاوز عن الحد والخروج عن

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢٥، ص ٢٧٤.

القصد الإفراط في حقّ الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام»^(١).

وفي ذيل قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ قال: «إن الله تعالى نهى عن تجاوز الحدّ في المسيح، وحذّر من الخروج عن القصد وجعل ما ادّعته، النصارى فيه غلوّاً؛ لتعدّيه الحدّ»^(٢).

٢- العلامة المجلسي: قال: «اعلم أنّ الغلوّ في النبيّ والأئمة عليهم السلام إنّما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء الله تعالى في المعبودية أو في الخلق والرزق أو أنّ الله تعالى حلّ فيهم أو اتّحد بهم، أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة عليهم السلام أنّهم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأنّ معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي»^(٣).

٣- الطبرسي: «نقل قول جملة من المفسرين في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْهَلْ أَلِڪَتَبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أنّ النصارى غلت في المسيح فقالت هو ابن الله... وقيل الإفراط في شأن عيسى عليه السلام وادّعاء ألوهيته»^(٤).
وغيرها من الكلمات التي يظهر منها أنّ الغلوّ هو التجاوز عن الحدّ والإفراط في حقّ الأئمة والأنبياء عليهم السلام وإخراجهم عن حدّ البشرية إلى مقام الألوهية والربوبية.

(١) تصحيح الاعتقاد، الشيخ المفيد: ص ١٠٩.

(٢) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ط: إيران تبريز، ١٣٧٠ هـ: ص ٢٣٨.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٣٤٦.

(٤) انظر: مجمع البيان للطبرسي: ج ٢ تفسير الآية: ١٧١ من سورة النساء.

الغلو في روايات وكلمات أعلام السنة

جاء الغلو في عدد من روايات وكلمات أعلام السنة، منها:

١- عن ابن عباس قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله غداة العقبة: القط لي حصي، فلقطت له حصيات من حصي الخذف، قال: فقال: بمثل هذا فارموا. ثم قال: إياكم والغلو في الدين»^(١).

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»^(٢).

ابن حجر الهيتمي قال: الغلو: «المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد»^(٣).

ابن تيمية: قال: «الغلو: مجاوزة الحد بأن يزداد في الشيء في حمده، أو ذمه، على ما يستحق ونحو ذلك»^(٤).

الأشعري قال: «الغالية سموا لأنهم غلوا في علي وقالوا فيه قولاً عظيماً»^(٥).

الشهرستاني قال: «والغلاة هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية؛ فربما شبّهوا

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي: ج ٤، ص ٣٣١.

(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ٢١٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر الهيتمي: ج ١٣ ص ٢٧٨.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية: ج ١ ص ٢٨٩.

(٥) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت

ريتر، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ص ٢١.

واحداً من الأئمة بالإله، وربّما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلوّ والتقصير، وإنّما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى؛ إذ اليهود شبّهت الخالق بالخلق، والنصارى شبّهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية في حقّ بعض الأئمة^(١).

الآلوسي قال: «الغلوّ يتجاوز الحدّ والإفراط المنهيّ عنه»^(٢).

والحاصل من جميع ما تقدّم من تعاريف واستعمالات لمفردة الغلوّ في القرآن وروايات الفريقين يظهر أنّها تلتقي جميعاً في تحديد مفهوم الغلوّ بأنّه التجاوز عن الحد وإخراج المخلوق من حدود الإنسانية والبشرية إلى حدّ الألوهية ووصفه بأوصاف الإله.

ضابطة الغلو

من جميع ما تقدّم يمكن تلخيص ضابطة الغلو والخروج عن الحد بما يلي:

- ١- رفع البشر إلى درجة الألوهية.
- ٢- عبادة البشر.
- ٣- ادعاء النبوة لغير من ثبتت نبوّته، كما هو الحال بالقول بنبوة الأئمة عليهم السلام.

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر

دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤: ج ١ ص ٢٨٨.

(٢) روح المعاني، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥٩٣.

٤- القول بتفويض أمر الخلق إلى أحد من البشر سواء كان نبياً أم إماماً بالاستقلال.

٥- القول بتناسخ أرواح الأئمة عليهم السلام.

٦- القول بأزلية أرواح الأئمة عليهم السلام.

الولاية التكوينية لأهل البيت خارجة من دائرة الغلو

بناء على ما تقدّم يتّضح بطلان الدعوى القائلة أنّ الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام نحو من التفويض وهو من الغلو. ولكي يتّضح ذلك ينبغي تقديم مقدّمة تساهم في الوصول إلى المطلوب وتحول دون الوقوع في الالتباس.

مقدّمة : في أقسام التفويض

من المعلوم أنّ التفويض تارة في عالم التكوين وأخرى في عالم التشريع وسوف نتناول أولاً البحث عن أقسام التفويض في عالم التكوين.

أقسام التفويض في عالم التكوين

ينقسم التفويض للأمور التكوينية إلى قسمين:

الأول التفويض الاستقلالي: والمقصود منه أنّ الله تعالى فوض للنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أمر الخلق وأعطاهم السلطنة المطلقة في التصرف على نحو الاستقلال والأصالة، فهم يفعلون ما يشاءون ويعملون ما يريدون باستقلال عن قدرة الله تعالى.

فالله تعالى ترك لهم الأمر ليتصرفوا فيه كيف يشاءون، فيخلقون ويميتون ويرزقون من دون الحاجة إلى قدرة الله تعالى وإذنه.

وهذا المعنى من التفويض هو الذي ذهب إليه الغلاة، مدّعين أنّ الله

تعالى فوض أمر العالم للنبي وأهل بيته استقلالاً وبالأصالة.
 القسم الثاني: التفويض بإذن الله تعالى. والمقصود منه هو أن الله تعالى أعطى للنبي والأئمة عليهم السلام الولاية والقدرة على التصرف في الأمور التكوينية، ولكن مقيدة بإذنه تعالى، فهم لا يفعلون شيئاً إلا بإذن منه تعالى، فهم يخلقون ويحيون ويميتون، لكن لا بنحو مطلق، وإنما بإذن الله تعالى.

نقد مقولة التفويض الاستقلالي

بعدما اتضحنا المقدمة نقول إن التفويض بنحو الاستقلال باطل بل مستحيل، وقد قامت الأدلة العقلية والنقلية على بطلانه، لأن تفويض البشر في التصرف في الكون بنحو الاستقلال عن قدرة الله تعالى يعني الخروج عن سلطان الله وقدرته، وقيام البشر بالتصرف في عرض تصرف الله تعالى وقدرته، مما يستلزم إثبات الشريك له سبحانه.

وقد توافرت النصوص القرآنية في الدلالة على بطلان هذا السنخ من التفويض، بشكل واضح وصريح، مؤكدة في الوقت ذاته أن كل إنسان سواء كان نبياً أم إماماً فهو محتاج إلى الله تعالى في كل آن وآ ولا يمكن الخروج والاستقلال عن قدرة الله الواحد القهار، مضافاً إلى استلزامه تعطيل الذات الإلهية المقدسة.

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِبةٌ ۚ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢).

(١) الأنعام: ١٠١.

(٢) فاطر: ١٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَمَّونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وغيرها من الآيات التي تؤكد المضمون ذاته.

ومما ينبغي التذكير به أنّ ما يدعيه الغلاة من التفويض الاستقلالي الذي قامت الأدلة على بطلانه، هو عين ما ذهبت إليه المعتزلة في بحث القضاء والقدر، وهو أنّ الله تعالى فوّض الأفعال إلى العباد مع استقلالهم بالقدرة عليها، فهم يفعلون ما يشاءون، من دون الاستعانة بقدرة الله تعالى. وهو أمر موفوض لدى مذهب الإمامية القائلين بالأمر بين الأمرين، كما ثبت في محله.

وبهذا يتّضح بطلان ما يدعيه الغلاة من إثبات التفويض المستقل للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام، لاستلزامه عزل الله تعالى عن سلطانه وإثبات الشريك له تعالى.

أمّا التفويض المقيّد بإذن الله تعالى، فلا مانع منه، وقد حدّثنا القرآن الكريم في عدّة آيات على إعطاء الأنبياء عليهم السلام أو بعض الناس الولاية والقدرة في التصرف في الأمور التكوينية بإذنه تعالى، وبملاحظة النصوص القرآنية المتقدمة التي تثبت الولاية التكوينية للأنبياء والأوصياء نجد أنها تصرّح أنّ كلّ ما قام به الأنبياء أو الأولياء مقيّد بالإذن الإلهي، وليس على نحو الاستقلال.

ومن هنا يتّضح أنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام التكوينية وقدرتهم على

(١) البقرة: ١٠٢.

التصرّف في الكون لا تستلزم شيئاً من الغلو، لأنها بإرادة وإذن منه تعالى، وقد صرحت بذلك الروايات المتقدمة.

فكلّ ما حظي به أهل البيت عليهم السلام من مقامات رفيعة ومنزلة وكرامة عند الله تعالى من قبيل الولاية لهم عليهم السلام ونحوها من المقامات التي أفاضها تعالى عليهم، خارجة عن دائرة الغلو؛ لأنّ القول بثبوت الولاية التكوينية لهم عليهم السلام بإذن منه تعالى ليس تجاوزاً وتخطياً لحدود البشرية، إلى حدود الألوهية؛ لأنّ جميع ما عندهم عليهم السلام هو من نعم الله عليهم، فلا يملكون لأنفسهم شيئاً، قال الله تعالى: فهم يعلمون بإذن الله ويتصرّفون في التكوين بإذن الله تعالى... فهم عباد مكرمون لا يقدرُونَ إلاّ ما أقدرهم الله عليه.

نعم، إنّ مثل هذه المقامات الرفيعة لأهل البيت عليهم السلام وما جرت على أيديهم من معجزات قد تبدو غريبة لكثير من الناس، لكن هذه الغرابة تزول بعد التوجّه إلى عجز الخلق عن معرفة كنههم وحقيقتهم، التي يستحيل الإحاطة بها إلاّ ممن هو بمنزلتهم أو أعلى، وهو الله تعالى؛ لذا ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يا عليّ ما عرف الله إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرفك إلاّ الله وأنا»^(١).

وكما قيل في علم المنطق: «يجب أن يكون المعرف أجلى وأوضح من المعرف» وإلاّ فلا تتمّ المعرفة بشكل كامل. قد وردت جملة من الروايات ترشد الناس أن (لا تقولوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا)، مضافاً إلى ما تقدّم من روايات أخرى بلسان (أنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك

(١) مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي: ص ١٢٥.

مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)، وعلى هذا الأساس ينبغي للمؤمن أن لا يتعجّل في ردّ ما ورد عنهم من فضائلهم ومعجزاتهم ومقاماتهم، إلّا إذا كان ما نسب إليهم عليهم السلام مما يقع في نطاق المستحيلات العقلية أو كونه خلاف ضرورة الدين.

خلاصة الفصل الخامس

الغلوّ في اللغة هو مجاورة الحدّ، أمّا ضابطة الغلوّ في الشريعة، كما ورد في النصوص القرآنية والروائية فهو ما يلي:

رفع البشر إلى درجة الألوهية، وعبادة البشر، وادعاء النبوة لغير ما ثبتت لهم النبوة، والقول بتفويض أمر الخلق إلى أحد من البشر سواء نبياً أم إماماً بالاستقلال.

الولاية التكوينية لأهل البيت عليه السلام وكذلك ما حظي به أهل البيت عليهم السلام من مقامات رفيعة ومنزلة وكرامة من الله تعالى، كلّها خارجة عن دائرة الغلو، لأنّ ولايتهم التكوينية عليه السلام ليست تخطياً لحدود البشرية إلى حدود الألوهية؛ لأنّ ولايتهم التكوينية بل جميع ما عندهم هو من الله تعالى وبإذنه.

الفهارس العامة

(١) فهرس الآيات

(٢) فهرس الأحاديث

(٣) فهرس المصادر

(٤) فهرس المحتويات

فهرس الآيات

رقم الآية	سورة البقرة	رقم الصفحة
٧: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾	٦١	
٨: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا﴾	٦١	
٨٣٠-٣٣: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.... قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾	١٤٩-١٤٥	
٦٠: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾	٩٦	
١٠٢: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ... وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	٢٢٩، ٣٨	
١٠٦: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾	١٨٨، ١٦٠، ١٥٩	
١٢٨: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ... وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾	٨٠، ٥٦	
١٣٩: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾	٨١	
١٨٦: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ..... يَرْشُدُونَ﴾	٤١	
٢٥٣: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	١٥٣، ٥٤	
٢٥٧: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	٦٢	
٢٥٩: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٤٤	
٢٦٠: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى....﴾	٩٦-٩٥	

- ٢٦٩: وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٧٤﴾
 ٢٨٢: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ ٤٩

سورة آل عمران

- ٢: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ١٤٤
 ٧: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ١٣٠
 ٣١: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ ٨٢
 ٣٤-٣٣: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا... ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٧-٩
 ٣٦: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ ٢٠٠-١٩٩
 ٣٧: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ ٩٩
 ٤٩: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ٩٨
 ٥٠: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ ١٥٧-١٥٦
 ٥٢: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ٤٤
 ٥٩: ﴿إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ ٩
 ٦٠: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ ٩
 ٦١: ﴿... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ... ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ ٩
 ٦٤: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ٢١٥
 ٦٨: ﴿إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ...﴾ ٨
 ٧٩: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ ٢١٦
 ٨١: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ ١٥٧

سورة النساء

- ١٢٢: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ١٨٣
 ١٧١: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾
 ٢١٤: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾

١٧٢: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٧٥، ٢١٥

سورة المائدة

٦: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾

٦٩

٤٨: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾ ١٥٩، ١٨٨

٦٠: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ ٢١٧

٧٧: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا

أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا...﴾ ٢٢٤، ٢١٧، ٢١٤

١١٠: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ ...

وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ ٩٨

١١٦: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ ٢١٧-٢١٦

١١٧: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٢١٧-٢١٦

سورة الأنعام

٨٤-٨٧: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ... وَاجْتَنَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٦٥، ٨٧

٣٨: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ١٣٩

٥٩: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ١٣٤

٧٥: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ ٥٠، ٥٥، ١٤٣

١٠١: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ﴾ ٢٢٨

١١٥: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ١٥٨

١٢٥: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ... كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ ٦٧

١٤٥: ﴿أَنْ يَكُونَ مِثَّةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ﴾ ٦٧

سورة الأعراف

- ٩٦: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾ ٣٤
 ١١٧: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ٩٦
 ١٤٣: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ ١٣٣
 ١٤٥: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ١٩٠
 ١٥٨: ﴿وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٢
 ١٧٢: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ ١٩٢
 ١٧٩: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ ... أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ٥٨
 ١٨٠: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ١٩٦، ١٥٠

سورة الأنفال

- ٢٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ٤١، ٦٢
 ٢٩: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ ٤٩

سورة التوبة

- ٩٥: ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ ٦٨
 ١٠٣: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ ٦٩
 ١٢٥: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ﴾ ٦٨

سورة يونس

- ٦١: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ ١٣٦، ١٣١
 ١٠٠: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾ ٦٨

سورة هود

- ٦: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ ١٣٤
 ٢٤: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ ٦٣
 ٥٦: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ٢٥

سورة يوسف

١٠٨: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ ٨٤

سورة الرعد

٧: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ١٦٥

٨: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ٩٩

١٣: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ ٩٠

١٦: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ٦٣

١٩: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ ٦٣

٣١: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ .. إِنْ اللَّهَ لَا

يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

١٩٨، ٣٠

سورة الحجر

٢١: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ١٣٣، ١٣١، ١٢٨، ١٢٧، ٣٢

٣٠: ﴿نَسْجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ١٤٧

سورة النحل

٤٠: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٨٠

٦٠: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ١١٦

٧٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٩٠

٧٧: ﴿كَلِمَاحِ الْبَصَرِ﴾ ٦١

٨٩: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَتْنَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ١٨٩، ١٦٠، ١٣٩، ١٣٨، ٣٠

سورة الإسراء

٩: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ١٥٩

٤٤: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ٩٠

- ٥٥: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ ١٥٢، ٥٣
 ٨٤: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ ٢٤
 ١١٠: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ٢٤

سورة الكهف

- ٨٤: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا﴾ ١٠١، ٧٧
 ١٠١: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أُعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ ٦٠

سورة طه

- ٥١-٥٢: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * ... قَالَ عَلِمْتُهَا﴾ ١٣٦
 ١١٠: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ٩٠، ٣٧
 ١٢٤: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ٥٩
 ١٢٥: ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ ٦٠

سورة الأنبياء

- ٦٩: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ ٢٩
 ٧٩: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ ٩٦

سورة الحج

- ٣٠: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ٦٨
 ٣٥: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ٤٩
 ٤٦: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٥٨
 ٧٨: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ٨٧

سورة النور

- ٦٣: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ ١٢

سورة الفرقان

- ٢: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ١٤٤

٥٨: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ١٤٤

سورة الشعراء

٨٩: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء/٨٩) ٧٠

١٩٢-١٩٥: ﴿وَأَنَّهُ لَنَتَزِيلُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ١٤١، ٥٩

سورة النمل

١٤: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ ٥٤

١٦-١٧: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ ...﴾ ٩٧

٢٠-٢١: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ ١٩٨

٣٩: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ ١٠١

٤٠: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ﴾ ١٢٥، ١٠٠، ٩٩

٧٥: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١٣٤

سورة العنكبوت

٤٩: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ١٨٥-١٨٦

سورة الروم

٢٧: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ١١٤

سورة السجدة

٧: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ٢٣، ٢٤

١٦: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَصَاجِعِ﴾ ١٣٢

سورة الأحزاب

٧: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ ١٥٤، ١٥٣

١٠: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ ٦١

٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ٩، ٦٦، ٧١، ١٧٥، ١٧٦،

١٧٧، ١٧٩، ٢٠٨

وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١٠﴾

سورة سبأ

- ١٣٥: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾
 ٩٧: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾

سورة فاطر

- ١١٣: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾
 ٢٢٨: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾
 ١٤٤: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾

سورة يس

- ٧٢: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾
 ٧٥: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
 ١٤٣: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

سورة الصافات

- ١٢٨-١٢٧: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾
 ١٦٠-١٥٩: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾
 ١٧١-١٧٣: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

سورة ص

- ٩٧: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾
 ٩٧: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾
 ٩٧: ﴿وَأَخْرَيْنَ مُفْرَتَيْنَ...﴾
 ٢٠٢، ٩٧: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
 ٦٠: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾
 ٣٠: ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾

٨٢-٨٣: ﴿لَا غُورَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ٨٧

سورة الزمر

٢: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا﴾ ٨١

٣: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...﴾ ٨٢

١١: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ٨١

٦٢: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ٢٤، ٢٣

سورة غافر

١٤: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ٨٢

٥١: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ٣٩

٦٢: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ ٣٤

٧٨: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ٣٧

سورة الشورى

٥: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ٩٠

١١: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ٩٠

٢٣: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ١٢، ١١، ١٠

سورة الزخرف

١-٤: ﴿حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِين * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ ١٤٠، ١٣٤، ١٢١، ٧١

١٩: ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ١٨٥

٦٣: ﴿وَلَا يَبِينُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾

سورة الدخان

٣: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ ٣١

٢٣-٢٤: ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا...﴾ ٩٦

سورة الأحقاف

٣٥: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَرْزِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾ ١٥٣

سورة الحجرات

٧: ﴿حَبِّبْ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَيْبَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ٨٦

سورة ق

٤: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ ١٣٣

١٦: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ٤١

١٧-١٨: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ٦٤

٣٧: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ٥٩

سورة الذاريات

٥٦: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ١١٢ ٨٢

سورة النجم

٣-٤: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ ١٨٣

٩-٨: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ٦٥

٥٦: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ ١٦٥

سورة القمر

٤٩: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٩٩ ٣٢

سورة الواقعة

٧-١١: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٨٠ ٧٧

٧٧: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ... لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ٢٠٨ ٧٢ ٧٤ ١٤٠ ١٣٣ ١٤١ ٢٠٨

سورة الحديد

٤: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ٤١

سورة المجادلة

- ٢١: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ٣٩
 ١٢: ﴿فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ ٦٩

سورة الحشر

- ٧: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ٢٠٣
 ٩: ﴿يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ٨٦

سورة الصف

- ٦: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ١٥٦

سورة الجمعة

- ٢: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ٧٤
 ٤: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ ٧٤

سورة التغابن

- ١١: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ١٣٦، ١٣٥، ٣٣

سورة الطلاق

- ٢-٣: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ٤٩

سورة الملك

- ١: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ١٤٣

سورة نوح

- ٢٦: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾ ٢٣٣
 ٢٧: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاغْرًا كَفَّارًا﴾ ٢٣٣

سورة الإنسان

- ٢١: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ٧٠

٣٠: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ٣٦، ٢٠٤

سورة النازعات

٥: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ٧٦

سورة التكوير

٢٧-٢٩: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ.... * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾ ٣٦

سورة الانشقاق

٦: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ٤٣، ٤٤، ١٣٣

سورة البروج

٢١-٢٢: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ١٣٣، ١٤٠

سورة الأعلى

٢-٣: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ٣٣

سورة القدر

١: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ١٣٢

سورة البينة

٥: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ ٨٢

فهرس الأحاديث

١. الأئمة من ولدك بهم يُسقى أمّتي الغيث ٢٠٦
٢. أبشر، فأنت والله معنا تحشر ٨٥
٣. أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب ٣٤
٤. أحبّ أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم ١٩٩
٥. أخبرني عن المرأة أنت فيها أم هي فيك ١١٥
٦. إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله ١٩٦
٧. أعطيت السور الطوال مكان التوراة ١٦٠
٨. ألا إنّ للعبد أربع أعين ٦٤
٩. ألبسه قميص الرضا، وردّاه برداء الهيبة ١٦٧
١٠. إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله ٢٢٠
١١. أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ١٣٩
١٢. أمّا الثقل الأكبر فكتاب الله عزّ وجلّ ٤٤
١٣. أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت ١٢
١٤. أمر الله عزّ وجلّ عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم ٢١٧
١٥. إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب ٢٣١
١٦. إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً كان عند آصف منها حرف ١٦٨

١٧. إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ عَلَى ثَلَاثَةِ وَسْبَعِينَ حَرْفًا، وَإِنَّمَا كَانَ عِنْدَ آصَفَ ١٩٤
١٨. إِنَّ الْأَوْصِيَاءَ لَتَطْوِي لَهُمُ الْأَرْضَ ٢٠٧
١٩. إِنَّ الدُّنْيَا تَمَثَّلُ لِلْإِمَامِ فِي فَلَقَةِ الْجُوزِ ٢٠٣
٢٠. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مَاءً عَذْبًا وَمَاءً مَالِحًا ١٩٢
٢١. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نُورًا قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ ١٦٤
٢٢. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَسْمَاءً بِالْحُرُوفِ غَيْرِ مَتَصَوِّتٍ ١١٨
٢٣. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ نُورَ مُحَمَّدٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْعَرْشَ ١٦٥
٢٤. إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ أَنْبِيََاءَهُ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ ... وَالْفَضْلَ ١٩١
- بعدي لك يا عليّ
٢٥. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّدًا بِوَحْدَانِيَّتِهِ ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ ١٦٣
٢٦. إِنَّ اللَّهَ أَبَانَ فَضْلَ الْعَتَرَةِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ٩
٢٧. إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى عِمْرَانَ أَنِّي وَاهِبُ لَكَ ذَكَرًا سَوِيًّا ١٩٩
٢٨. إِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى لَخَلْقِهِ فِي كِتَابِهِ ١٣٧
٢٩. إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ قُلُوبَ الْأُئِمَّةِ مُورَدًا لِإِرَادَتِهِ ٢٠٤
٣٠. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَوَّلَى الْعِزِّ مِنَ الرِّسْلِ بِالْعِلْمِ وَوَرَّثَنَا عِلْمَهُمْ ١٩١
٣١. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَاحِدَ عَشَرَ مِنْ وَلَدِهِ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ ١٦٢
٣٢. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ، ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ ١٦٤
٣٣. إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ٥٢
٣٤. إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ اسْمَهُ الْأَعْظَمَ عَلَى ثَلَاثًا وَسْبَعِينَ حَرْفًا ١٦٨
٣٥. إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ كِتَابِي الْمُهَيْمِنَ عَلَى كِتَابِهِمْ ١٨٩
٣٦. إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْإِيمَانَ عَلَى سَبْعَةِ أَسْهُمٍ ٤٥
٣٧. إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ كَمَا عَلَّمَهُ سُلَيْمَانَ ٢٠٢

٣٨. إِنَّ اللَّهَ كَانَ إِذْ لَا كَانَ، فَخَلَقَ الْكَانَ وَالْمَكَانَ ١٦٧
٣٩. إِنَّ اللَّهَ مُوَلَّيٌّ وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ ١٨٠
٤٠. إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَوْ قَالَ لِهَذِهِ الْجِبَالِ أَقْبِلِي أَقْبَلْتُ ٢٠٤
٤١. إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَنْزِلْنَ عَلَيْنَا فِي رِحَالِنَا وَتَتَقَلَّبْنَ عَلَى فُرُشِنَا ٢٠٣
٤٢. إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ كُلِّ أَرْضٍ تَرًّا مِثْلَ تَرِ الْبِنَاءِ ٢٠٣، ٢٠١
٤٣. إِنْ دَعَوْتَ فَأَمَّنُوا ١٠
٤٤. إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ فَقَالَ لَهُ: أَرْنِي آيَةً ٢٠٠
٤٥. إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ قَالَ لِلْهَدَّادِ حِينَ فَقَدَهُ ١٩٨
٤٦. إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْطَى حَرْفَيْنِ كَانَ يَعْمَلُ بِهِمَا ١٩٤
٤٧. إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ كَانَ مِنْ شُرَايِعِهِ السَّيِّئِ فِي الْبِلَادِ ٧٧، ٢٠٦
٤٨. إِنَّ غَطَاءَ الْعَيْنِ لَا يَمْنَعُ مِنَ الذِّكْرِ ٦٠
٤٩. إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَحَدًّا وَمُطْلَعًا ١٣٠
٥٠. إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ١٠٤
٥١. إِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا خَلَقَهُمْ مِنْ نُورِهِ وَرَحْمَتِهِ ٢٠٥
٥٢. إِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَهُ سَهْمٌ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَهْمَانِ ٤٦
٥٣. إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْكَلَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا بِالنَّظَرِ ٢٠٠
٥٤. إِنَّ مَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ دُونَ الْمَسْمُومِ ١٠٧، ١٠٤
٥٥. إِنَّ مَنْ وَرَاءَ قَافِ عَالَمٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي ١٩٥
٥٦. إِنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنَّ هَذَا عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ١٩٢
٥٧. أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ بِإِذْنِ رَبِّي ١٩٨
٥٨. أَنَا الْحَفِيزُ الشَّهِيدُ ١٩٥
٥٩. أَنَا بَقِيَّةُ مِنْ آدَمَ وَذَخِيرَةُ مِنْ نُوحٍ وَمُصْطَفَى مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَصَفْوَةُ ٨

٦٠. أنا من أهل البيت الذين افترض الله موَدَّتْهم على كلِّ مسلم ١١
٦١. أنت على مكانك وأنت على خير ١٧٦
٦٢. أنت مني بمنزلة هارون من موسى ١٣
٦٣. أنزل القرآن على ثلاثة أحرف ١٣١
٦٤. أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٣٠
٦٥. إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي ١٧٧
٦٦. إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي ١٤
٦٧. إنما الأعمال بالنيات ٧٨
٦٨. إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي ١٣
٦٩. إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ١٨٠
٧٠. إني لأعرف بطرق السماوات من طرق الأرض ١٩٦
٧١. أو تدري ما قدّر هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء ٣٢
٧٢. أوصيك يا موسى وصيّة الشفيق المشفق ١٦١، ١٨٩
٧٣. أوصيك يا موسى وصيّة الشفيق المشفق ١٨٩
٧٤. أوّل ما خلق الله نوري ١٥٥
٧٥. أوّل ما هاهنا أنّهم لا ينفصلون ممن قلب هذا عليهم ٢١٩
٧٦. أوّلنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلّنا محمد ١٩٨
٧٧. أوليس كان عليّاً عليه السلام آكلًا في الآكلين ٢١٨
٧٨. أيّ شيء يقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين ١٩٠
٧٩. إيّاكم والغلو في الدين ٢٢٥
٨٠. إيّاكم والغلو فينا ٢١٦
٨١. أيّما امرأة نكحت بغير إذن مولاهها ١٩

٨٢. الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة ٥٠
٨٣. اتت الخشبتين، فقل لهما: اجتماعاً بأمر رسول ٢٠٠
٨٤. اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً ٧٧، ٢٠٦
٨٥. اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ٢١٩
٨٦. احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم ٢٢٠
٨٧. بابن البتول عيسى ابن مريم صاحب الأتان ١٨٩، ١٦١
٨٨. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ. قَالَ: إِيَّانَا عَنِ ١٨٥
٨٩. بلغ ما بلغه ذو القرنين وجازه أضعافاً ٧٧
٩٠. تجلّى لعباده في كلامه ١٣٨
٩١. الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ١٨٤
٩٢. ثم حبس نور محمد صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة ١٦٥
٩٣. ثم مررت بأقوام لهم مشافر كمشافر الإبل ٥٦
٩٤. جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فيه عرفوا الأشياء ٧٦
٩٥. جلّ يا عمران عن ذلك ١١٥
٩٦. حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي ١٢
٩٧. حرمة المؤمن أعظم من حرمة هذه البنية ٢٠٤
٩٨. حقّ على الله أن يذيقنا الموت ٢٢٢
٩٩. خاصمهم بكتاب الله ١٩٠
١٠٠. خلق عزّ وجلّ معه اثني عشر حجاباً ١٦٥
١٠١. الدين هو الحب، والحب هو الدين ٨٦
١٠٢. ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور ٦٥
١٠٣. الذي عنده علم الكتاب آصف بن برخيا ١٠٠

١٠٤. رَبِّي هَؤُلَاءِ أَهْلِي وَأَهْلُ بَيْتِي ١٧٧
١٠٥. سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ، وَالْكَافِرُونَ ٢١٨
١٠٦. سَخَّرَ لَهُ السَّحَابَ وَمَدَّتْ لَهُ الْأَسْبَابَ وَبَسَطَ لَهُ فِي النُّورِ ١٠١
١٠٧. السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ﴾ ١٧٨
١٠٨. السَّلِيمُ الَّذِي يَلْقَى رَبَّهُ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَاهُ ٧٠
١٠٩. شَرَابًا يَشْرِبُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَطْهَرُهُمْ ٧١
١١٠. الشَّهَادَةُ لَنَا وَالْمَسْأَلَةُ لِلْمَشْهُودِ عَلَيْهِ ١٨٥
١١١. الصَّلَاةُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ ١٧٩
١١٢. ظِلُّ النُّورِ أَبْدَانٌ نُورَانِيَّةٌ بِلَا أَرْوَاحٍ ١٦٣
١١٣. ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ ١٣٠
١١٤. عَسَى أَنْ نَقُولَ مَا خَرَجَ إِلَيْكُمْ مِنْ عَلَمِنَا إِلَّا أَلْفًا غَيْرَ مَعْطُوفَةٍ ٢٢٠
١١٥. عَلَى ذَلِكَ نَسَلْتُ الْقُرُونُ، وَمَضَتْ الدَّهُورُ ١٥٨
١١٦. عَلَى رَسْلِكَ إِنِّي لَمْ أَرْدِكْ ٢٠٤
١١٧. عَلَيَّ مَنِّي وَأَنَا مِنْ عَلَيَّ، لَحْمُهُ مِنْ لَحْمِي ١٦٣
١١٨. عَلَيْنَا نَزَلَ قَبْلَ النَّاسِ، وَلَنَا فُسِّرَ قَبْلَ أَنْ يَفْسَرَ فِي النَّاسِ ١٨٥
١١٩. فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَوَائِدُ مِنْ لَحْمٍ طَيِّبٍ وَلَحْمٍ خَبِيثٍ ٥٦
١٢٠. فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْذِنِي مَا يُؤْذِيهَا ١٢
١٢١. فَالسَّابِقُونَ هُمْ رَسُلُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَخَاصَّةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ ٧٦
١٢٢. فَلَا أَرَى النُّورَ إِلَّا وَقَدْ دَلَّكَ وَدَلَّ الْمَرَاةَ ١١٥
١٢٣. فَهَذَا عِلْمٌ مَا قَدْ أَنْهَيْتَهُ إِلَيْكَ وَأَدْبَيْتَهُ إِلَيْكَ ١٨٥
١٢٤. فَهُمْ يَحْلُونَ مَا يَشَاءُونَ وَيَحْرَمُونَ مَا يَشَاءُونَ، وَلَنْ يَشَاءُوا ١٦٣
١٢٥. فَهُوَ ذَا عِنْدِنَا مَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَبْرَأَ مِنْكُمْ ٤٥-٤٦

١٢٦. فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ٢٢١
١٢٧. فيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة ١٨٥
١٢٨. فيه تبيان كل شيء ١٣٩
١٢٩. قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله ١٨٥
١٣٠. قدّر ما خلق فأحكم تقديره، ودبره فألطف تدبيره ٢٥
١٣١. قري آل محمد ١٢
١٣٢. القلب في هذه الآية بأنه العقل ٥٩
١٣٣. قولوا إنا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم ٢١٦
١٣٤. كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما ١٦٨
١٣٥. كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله ٢١٧
١٣٦. كلما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم ٨٩
١٣٧. كنّا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلّة خضراء ١٦٨
١٣٨. كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله ١٦٣
١٣٩. كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف ١١٢
١٤٠. لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ٢٢٣
١٤١. لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم ٢١٩
١٤٢. لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله تبارك تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً ٢١٦
١٤٣. لا تقولوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا ٢٣٠
١٤٤. لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس ٢١٧
١٤٥. لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته ٧٩
١٤٦. لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى ٣٢

١٤٧. لا يكون الذرية من القوم إلا نسلهم من أصلابهم ٨
١٤٨. لست أخاف عليك النسيان ٢٠٦
١٤٩. لعن الله المغيرة بن سعيد ٢٢١
١٥٠. لكل آية منها ظهر وبطن ١٣٠-١٣١
١٥١. للقرآن ظاهر وباطن ومحكم ومتشابه ١٢٩
١٥٢. لم يجحد آدم ولم يقرّ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة ١٩٢
١٥٣. لم يخل سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل ١٥٨
١٥٤. لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ٢٥
١٥٥. لم يكن قبله مطاع في الخلق، ولا يكون بعده ١٦٥
١٥٦. لما نزلت (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ... ١١
١٥٧. لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ٩
١٥٨. اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك ٢٢٣
١٥٩. اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون ٢٢٣
١٦٠. اللهم إني بريء من الحول والقوة ٢٢٢
١٦١. اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ٢٢٣
١٦٢. اللهم من زعم أنا أرباب فنحن منه براء ٢٢٣
١٦٣. اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ١٧٦
١٦٤. اللهم هؤلاء أهلي ٩
١٦٥. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ١٨٠
١٦٦. لو أردت أن أجوب الدنيا بأسرها ١٩٥
١٦٧. لولا أنني أخاف أن يقال فيك ما قالت النصارى في المسيح ٢٢١
١٦٨. لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ١٦١

١٦٩. ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه ٦٥
١٧٠. ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ١٢٩
١٧١. ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه ١١٥
١٧٢. ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ١٨٣
١٧٣. ما بعث الله نبياً إلا وكان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه ١٩٧
١٧٤. ما تقرب إليّ عبد بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ٤١
١٧٥. ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عُرضت عليه ولا يتي ١٩٢
١٧٦. ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني ١٦١، ١٩١
١٧٧. ما ضعف بدن عما قويت عليه النيّة ٧٨
١٧٨. ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك ٧١
١٧٩. ما عرف الله تعالى من شبهه بخلقه ٢١٨
١٨٠. ما عندك من أحاديث الشيعة؟ ٢١٩
١٨١. ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ١٣٠
١٨٢. ما قال بين دفّتي المصحف ١٨٦
١٨٣. ما من قلب إلا ولقلبه أذنان في جوفه ٦٤
١٨٤. ما من قلب إلا وله أذنان، على إحداهما ملك مرشد ٦٣
١٨٥. ما من نبي نبي ولا من رسول أرسل إلا بولايتنا ١٩١
١٨٦. محمود الملك قبل خلق آدم باثنين وعشرين ألف عام ١٦٤
١٨٧. معنى قول القائل بسم الله أي أسم على نفسي سمة من سمات الله ١٠٢
١٨٨. من تجاوز بأمر المؤمنين العبودية فهو من المغضوب عليهم ٢١٧
١٨٩. من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ٤١
١٩٠. من تمسك بنا لحق، ومن تخلف عنا غرق ٢٠٥

١٩١. من عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا، فهو منا وإلينا ٢٠٦
١٩٢. من عسى أن يكونوا غيرنا؟ ١٨٦
١٩٣. من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ١٢
١٩٤. من قرابتك؟ ... علي وفاطمة وولدهما ١١
١٩٥. من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ١٣
١٩٦. من كنت وليه فهذا وليه ١٨٠
١٩٧. المنشئ أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها ٢٥
١٩٨. نجعل لكم رباً توبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ ٢٢٠
١٩٩. نحن الأسماء المكتوبة على العرش ١٩٦
٢٠٠. نحن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه ١٩٦
٢٠١. نحن جنب الله، ونحن صفوة الله ٢٠٥، ٢٠٤
٢٠٢. نحن حجة الله، ونحن باب الله ٢٠١
٢٠٣. نحن حرم الله الأكبر ونحن عهد الله ١٦٤
٢٠٤. نحن حكماء الله في أرضه وشهادؤه على خلقه ١٨٥
٢٠٥. نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ١٦٤
٢٠٦. نحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً ١٦٩
٢٠٧. نحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه ١٨٥
٢٠٨. نحن والله الأسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا ١٩٦
٢٠٩. نزلت الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وفاطمة وحسن وحسين ١٧٨
٢١٠. نفعلك الله به وتبتك يا هشام ١٠٤
٢١١. نور نبئك يا جابر ١٥٥
٢١٢. هات ما أنكرت منها ٢١٩

٢١٣. هذا روح الله يمشي على الماء ٢٠٧
٢١٤. هذا عبد نور الله قلبه للإيمان ٥١
٢١٥. هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء ٧٨
٢١٦. هل فوض الله إليه كما فوض إلى سليمان ٢٠٠، ٢٠١
٢١٧. هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد ٨
٢١٨. وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا: علماً أن يطلب أسباب المنازل ٧٧
٢١٩. وآدم بين الروح والجسد ١٥٥
٢٢٠. وإن الله عز وجل جعل كتابي المهيم على كتبهم ١٦٠
٢٢١. وأنتم واردون علي الحوض، حوضي غداً ٤٤
٢٢٢. وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ١٦٩
٢٢٣. وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ١٨٤
٢٢٤. والفضل بعدي لك يا علي ١٦١
٢٢٥. والله لقد أعطاني الله تسعة أشياء لم يعطها أحد قبلي خلا محمداً ٢٠١
٢٢٦. والله ما قلعت باب خبير ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً ٢٠٤
- بقوة جسدية
٢٢٧. والله ما يقدّر أرزاقنا إلا الله ٢٢٢
٢٢٨. وكيف لا نكون أفضل من الملائكة ١٦١
٢٢٩. ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف ١٠٠
٢٣٠. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، ما علمناهم يتون ٤٩
٢٣١. وهل الدين إلا الحب ٨٥
٢٣٢. ويحك يا صالح! إنا والله عبيد مخلوقون ٢٢٢
٢٣٣. الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا ١٩٨

٢٣٤. يا أبا محمد، الإسلام درجة ٥٠
٢٣٥. يا إسحاق خف الله كأنك تراه ٦٤
٢٣٦. يا إسماعيل ضع لي في المتوضأ ماء ٢١٩
٢٣٧. يا أهل العراق، اتّقوا الله فينا فإننا أمراؤكم وضيّفانكم ١٧٧
٢٣٨. يا بن أشيم إنّ الله فوّض إلى سليمان ٢٠٢
٢٣٩. يا جابر إنّ الله أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة ١٦٣
٢٤٠. يا داود، إنّ أحبّ الأحباء إليّ من عبدني بغير نوال ٨٤
٢٤١. يا علي إنّ الله تعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته ١٦١
٢٤٢. يا عليّ ما عرف الله إلّا أنا وأنت ٢٣٠
٢٤٣. يا موسى لا يطول في الدنيا أمْلُك فيفسدوا لذلك قلبك ١٦٠، ١٨٩

فهرس المصادر

- ١ أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ط: إيران تبريز، ١٣٧٠هـ.
- ٢ امتاع الأسماع، للمقرئزي (ت: ٨٤٥ هـ)، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٩٩٩ م.
- ٣ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت.
- ٤ البداية والنهاية، ابن كثير، ١٩٨٨ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٥ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، طهران.
- ٦ البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ٧ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ٨ تحف العقول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، ٤١٧هـ، قم.
- ٩ تصحيح الاعتقاد، الشيخ المفيد.
- ١٠ تفسير الصافي، الفيض الكاشاني.

- ١١ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
- ١٢ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء.
- ١٣ التفسير الكبير، الفخر الرازي.
- ١٤ تقرير غريب القرآن، فخر الدين الطريحي، تحقيق محمد كاظم الطريحي، طبعة زاهدي، قم - إيران.
- ١٥ التوحيد، الصدوق، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، جامعة المدرسين، قم.
- ١٦ التوحيد، العلامة السيد كمال الحيدري، تقرير جواد علي كسار، دار فراق، ١٤٢١هـ.
- ١٧ جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي (ت: ١٣٨٣ هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩ هـ.
- ١٨ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري.
- ١٩ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٠ جواهر العقدين، السمهودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥.
- ٢١ الحكمة المتعالية، الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي.
- ٢٢ الخصال، الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، قم.
- ٢٣ دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي.
- ٢٤ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين

- محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٥ سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري أسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١، ١٩٩١.
- ٢٦ شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح المازندراني، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٧ شرح الأسماء الحسنى، للملا هادي السبزواري، منشورات مكتبة بصيرتي، قم - إيران.
- ٢٨ صحاح اللغة، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- ٢٩ صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣ م.
- ٣٠ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري
- ٣١ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ط ١، دار الفكر، بيروت.
- ٣٢ الصواعق المحرقة، الهيثمي، ابن حجر، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ.
- ٣٣ الصواعق المحرقة، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ.
- ٣٤ علل الشرائع، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
- ٣٥ عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي، الطبعة الأولى

- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، المطبعة : سيد الشهداء، قم.
- ٣٦ عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، محمد بن الحسين، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ٣٧ عيون مسائل النفس للشيخ آية الله حسن زاده آملی، انتشارات أمير كبير، طهران.
- ٣٨ الغيبة، الشيخ محمد بن ابراهيم النعماني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق.
- ٣٩ الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، الطبعة الأولى، ١٣٨٦.
- ٤٠ فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤١ فيض القدير في شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٢ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٤٣ الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية أفندي، ط ٣، ١٣٨٨هـ.
- ٤٤ الكشف، الزمخشري، ط ٢، منشورات البلاغة، قم.
- ٤٥ كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق.
- ٤٦ لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٧ اللمعة البيضاء، للتبريزي الأنصاري، تحقيق هاشم الأنصاري، ١٤١٨هـ، مؤسسة الهادي، قم.

- ٤٨ مجمع البحرين، الشيخ الطريحي.
- ٤٩ مجمع الزوائد، الهيثمي، نور الدين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة عام ١٤٠٨.
- ٥٠ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- ٥١ مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي.
- ٥٢ مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي، تحقيق: السيد علي عاشور، ١٤١٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٥٣ معاني الأخبار، الصدوق.
- ٥٤ المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد، دار الحرمين، القاهرة.
- ٥٥ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣.
- ٥٦ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني.
- ٥٧ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتز، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٨ الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤.
- ٥٩ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق وتصحيح وشرح

- ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦ م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- ٦٠ الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، قم.
- ٦١ نهاية الحكمة، العلامة الطباطبائي، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- ٦٢ النهاية لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران.
- ٦٣ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الذخائر، قم.
- ٦٤ الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي، الطبعة: الرابعة، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

فهرس المحتويات

المقدمة	٧
منهج البحث	١٥
خطة البحث	١٥
إهداء	١٦

الفصل الأول

إمكانية توفر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى

تمهيد:	١٩
في التعريف بمفهوم الولاية التكوينية لغة واصطلاحاً	١٩
الولاية لغة	١٩
معنى التكوينية لغة	٢١
الولاية التكوينية اصطلاحاً	٢١
الدليل على إمكانية توفر الولاية التكوينية لبعض الناس	٢٢
المقدمة الأولى: خلق الله العالم على وفق النظام الأحسن	٢٢
الدليل العقلي على النظام الأحسن	٢٢

- الدليل النقلي على النظام الأحسن ٢٣
١. الدليل القرآني ٢٣
٢. التأييد الروائي ٢٥
- المقدمة الثانية: العلاقة بين الأثر والمؤثر علاقة جعلية من الله تعالى ٢٦
- النظريات المطروحة في تفسير العلاقة بين الأثر والمؤثر ٢٦
- النظرية الأولى: عدم وجود علاقة بين الأثر والمؤثر ٢٦
- نقد النظرية الأولى ٢٧
- النظرية الثانية: نظرية التلازم الذاتي بين الأثر والمؤثر ٢٨
- النظرية الثالثة: العلاقة بين الأثر والمؤثر علاقة جعلية من الله تعالى ٢٩
- قانون العلّة شامل لكلّ خارق للعادة ٣٤
- السبب القريب المؤثر في حصول الخارق للعادة ٣٥
- المقدمة الثالثة: رؤية الملكوت موجبة للتصرّف في التكوين ٤٠
١. إنّ الله تعالى مصدر جميع الكمالات ٤٠
٢. معنى القرب والبعد عن الله تعالى ٤٠
٣. قوّة الأثر تتناسب طردياً مع القرب الإلهي ٤٣
٤. الإنسان سائر إلى الله تعالى في سفر معنويّ تكامليّ ٤٣
٥. المراد من الملكوت ٤٧
٦. الغاية من رؤية الملكوت حصول اليقين القرآني ٤٧
- مراتب العلم في القرآن الكريم ٤٨
- اليقين في النصوص القرآنية والروائية ٥٠

٥٣.....	الفرق بين اليقين القرآني واليقين الاصطلاحي
٥٥.....	رؤية الملكوت منشأ اليقين القرآني
٥٦.....	أدوات رؤية الملكوت
٥٨.....	الوجدان خير شاهد على وجود أدوات الرؤية الباطنية
٦٣.....	أدوات الرؤية الباطنية في النصوص الروائية
٦٥.....	المقدمة الرابعة: شرائط رؤية الملكوت
٦٦.....	المراد من الطهارة
٦٧.....	مراتب الرجس في القرآن الكريم
٦٨.....	مراتب الطهارة في القرآن الكريم
٦٩.....	الطهارة القلبية أعلى مراتب الطهارة
٧٢.....	الاستدلال على أن الطهارة القلبية شرط في رؤية الملكوت
٧٥.....	النتيجة: المقربون لهم ولاية التصرف في التكوين
٧٥.....	الشواهد على أن المقربين لهم الولاية في التصرف في التكوين
٨٠.....	معنى القرب الإلهي
٨٠.....	المقربون هم المخلصون
٨٢.....	الحب طريق الإخلاص
٨٤.....	التأييد في النصوص الروائية
٨٦.....	المراد من المخلص والفرق بين المخلص والمخلص
٨٧.....	متى يكون الإنسان مخلصاً
٨٧.....	امتيازات المخلصين

- ١: عدم تمكّن الشيطان من إغوائهم ٨٧
- ٢: المخلصون لا يحضرون الحساب ٨٨
- ٣: المخلصون لهم الحقّ في وصف الله تعالى ٨٨
- خلاصة الفصل الأول ٩١

الفصل الثاني

الأدلة القرآنية والروائية على

ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأولياء

- (١) الأدلة القرآنية على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء وغيرهم ٩٥
- الصف الأول: الولاية التكوينية المعطاة للأنبياء ٩٥
- الصف الثاني: الولاية التكوينية لغير الأنبياء عليهم السلام ٩٩
- (٢) الأدلة الروائية على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء وغيرهم ١٠٢
- الأمر الأول: في معنى الاسم ١٠٢
- الأمر الثاني: أقسام الأسماء الإلهية ١٠٣
- القسم الأول: الأسماء الإلهية اللفظية ١٠٣
- القسم الثاني: الأسماء الإلهية التكوينية ١٠٥
- الاسم التكويني عين المسمّى الخارجي ١٠٦
- الفرق بين الاسم اللفظي والاسم التكويني ١٠٦
- المراد من الأسماء وأسماء الأسماء ١٠٨
- أقسام الأسماء الإلهية التكوينية ١٠٨
- الأثر الخارجي يترتب على الاسم التكويني لا اللفظي ١٠٩

الأمر الثالث: المراد من الاسم الأعظم	١١٠
الأسماء الإلهية عامة وخاصة	١١١
الاسم اللفظي للاسم الأعظم	١١٢
ارتباط الإنسان بالله تعالى بواسطة أسمائه تعالى	١١٢
نتيجة البحث في الاسم الأعظم	١١٦
الاسم المستأثر	١١٧
لا مظهر للاسم الأعظم بتمامه	١١٨
خلاصة الفصل الثاني	١١٩

الفصل الثالث

الولاية التكوينية لرسول الله صلى الله عليه وآله

الطريق الأول: علم النبي صلى الله عليه وآله بالكتاب	١٢٥
المقدمة الأولى: إنَّ للقرآن الكريم مراتب	١٢٦
خصائص العوالم الوجودية	١٢٦
الدليل على أنَّ للقرآن مراتب	١٢٨
الموقف الروائي تجاه مراتب القرآن	١٢٩
المقدمة الثانية: نزول القرآن على نوحين	١٣١
المقدمة الثالثة: من خصائص الكتاب المبين أنَّه تبيان لكلِّ شيء	١٣٤
المقدمة الرابعة: القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين	١٣٦
المقدمة الخامسة: القرآن الكريم فيه تبيان كلِّ شيء	١٣٨
معالجة التباس	١٣٩

- النبي له الولاية التكوينية لعلمه بما في الكتاب ١٤١
- الطريق الثاني: وجود الاسم الأعظم عند النبي صلى الله عليه وآله ... ١٤٢
- الدليل القرآني على أن النبي وأهل بيته مظاهر الاسم الأعظم ١٤٣
- النتيجة: الخلافة الإلهية هي المظهرية والتجلي ١٥٠
- المراد من خليفة الله هو الإنسان الكامل ١٥١
- النبي صلى الله عليه وآله هو الإنسان الكامل ١٥٢
- الأدلة على أفضلية نبينا صلى الله عليه وآله على جميع الأنبياء ١٥٣
- الدليل الروائي على أن النبي وأهل بيته مظاهر الاسم الأعظم ١٦٢
- الطريق الثالث: أفضلية النبي على جميع الأنبياء والمرسلين ١٧٠
- المقدمة الأولى: ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء السابقين ١٧٠
- المقدمة الثانية: النبي صلى الله عليه وآله أفضل من جميع الأنبياء ١٧٠
- الطريق الرابع: رؤية النبي صلى الله عليه وآله للملكوت ١٧١
- المقدمة الأولى: رؤية الملكوت موجهة للتصرف في التكوين ١٧١
- المقدمة الثانية: أن النبي صلى الله عليه وآله رأى الملكوت ١٧١
- خلاصة الفصل الثالث ١٧٢

الفصل الرابع

الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام

- الطريق الأول: علمهم عليهم السلام بالكتاب ١٧٥
- الدليل الأول: آية التطهير ١٧٥

الدليل الثاني: حديث الثقلين	١٨٠
التأييد الروائي	١٨٤
الطريق الثاني: أفضلية أهل البيت على جميع الأنبياء السابقين	١٨٧
الدليل الأول: أعلمية أهل البيت على جميع الأنبياء السابقين	١٨٧
الدليل الثاني: الروايات الدالة على أفضلية أهل البيت	١٩٠
الطريق الثالث: الأسماء الحسنى والاسم الأعظم عند أهل البيت	١٩٤
روايات أخرى دالة على أنهم الأسماء الحسنى	١٩٦
الطريق الرابع: الروايات المصرحة بتصرف أهل البيت في التكوين ...	١٩٧
الطائفة الأولى: قيامهم عليهم السلام بإحياء الموتى	١٩٧
الطائفة الثانية: قدرة أهل البيت على تسخير الريح والسحاب	٢٠٠
الطائفة الثالثة: تسخير أهل البيت للجن والإنس والملائكة	٢٠٢
الطائفة الرابعة: طاعة الأرض والجبال لأهل البيت عليهم السلام	٢٠٣
الطائفة الخامسة: أنهم وسائط الفيض الإلهي	٢٠٤
دلالة كونهم واسطة الفيض على ولايتهم التكوينية	٢٠٧
خلاصة الفصل الرابع (في إثبات الولاية التكوينية لأهل البيت)	٢٠٨

الفصل الخامس

الولاية التكوينية لأهل البيت والغلو

المعنى اللغوي للغلو	٢١٣
تحديد مفهوم الغلو في الشريعة	٢١٤

٢١٤	الغلوّ في القرآن
٢١٥	الغلوّ في كلمات أهل البيت عليهم السلام
٢٢٣	الغلوّ في كلمات أعلام الشيعة
٢٢٥	الغلوّ في روايات وكلمات أعلام السنّة
٢٢٦	ضابطة الغلو
٢٢٧	الولاية التكوينية لأهل البيت خارجة من دائرة الغلو
٢٢٧	مقدّمة: في أقسام التفويض
٢٢٧	أقسام التفويض في عالم التكوين
٢٢٨	نقد مقولة التفويض الاستقلالي
٢٣٢	خلاصة الفصل الخامس

الفهارس العامة

٢٣٥	فهرس الآيات
٢٤٧	فهرس الأحاديث
٢٥٩	فهرس المصادر
٢٦٥	فهرس المحتويات